المجموعة القديمة
قصص
بقلم: عمرو مصطفى
des. by umteeba

المجموعة القديمة

قصص

عمرو مصطفى

كلمة

هذه المجموعة من القصص القصيرة أكثرها من قصصي القديمة، وهي جزء عزيز من ذكرياتي على صفحات المنتديات الراحلة، تلك المنتديات التي اندثرت بعد أن جثمت على أنفاسها مواقع التواصل (الأوجتماعي).. هذه القصص كتبت معظمها وأنا في سن الشباب، فليعذرني القارئ لو وجد نزقاً في بعضها، أو ركاكة في التعبير، أو حتى تأثر بكاتب كبير جعل الشباب يقرأون وجعل بعضهم يكتبون كذلك.. حاولت قدر الإمكان الإبقاء على تلك القصص القديمة كما هي، بخلاف قصة "يوم الاستقلال" حيث أنني أعدت كتابتها في فترة لاحقة مضيفاً إليها بعض الأحداث لم تكن في القصة الأقدم، وأحسب أنها هكذا ستكون أفضل فليس هذا من قبيل إزالة العيوب والرتوش، بقدر ما هي خدمة للفكرة

والعمل. أما القصص الباقية فهي كما هي، لأنها كما قلت جزء من ذكرياتي.. أنت لن تحاول العبث بصورك القديمة محاولاً تجميلها في عيون الناس.. ذكرياتك ستظل هي ذكرياتك بكل عيوبها ومميزاتها.. سلبياتها وإيجابياتها.. ستظل قطعة من روحك.

الحنين للماضي شعور مؤلم ولذيذ.. وبعض هذه القصص قد يضحكك وبعضها قد يبكيك.. وأرجو ألا تجعلك تلعن اليوم الذي اخترت فيه قراءتها أصلاً.. لكن على كل حال أرجو وقتاً طيباً لمن يقرأ هذه المجموعة، بعيداً عن مشاعر الشجن التي تكتنف كاتبها الكئيب.. وبعيداً عن المقدمة التي قد تجعلك تعرض عن قراءة تلك القصص أصلاً.. لكن لنفترض أن البعض ما يزال متحمساً ولو من باب المغامرة أوالمازوخية لتلك المجموعة القديمة.

عمرو مصطفى

الأتعاب

وضع النادل كوبي الشاي أمامنا ..

كان صاحبي مرسي يرمق الطريق ..فى حين نظرت أنا إلى النادل قائلا :

- شاى ثقيل ...

قال :

- نعم يا أستاذ .. والأستاذ الأخر شاى مضبوط....

قلت وانا انظر اليه فى ثبات :

- أنا لست أستاذا ..

ارتبك وهو يقول متراجعا :

- عفوا لم أقصد أى إساءة ...

وذاب داخل المقهى الذى كنا نجلس خارجه نراقب الطريق

أنا وصاحبي ...تناول صديقى مرسي كوب الشاى وهو يقول :

- لم يأت بعد ؟

- سيأتى ..المهم أن نكون مستعدين لوصوله ...

نظر لى فى تعجب، ثم قال :

- مستعدين !!نحن دائما مستعدين ..

- تكلم عن نفسك..

قلتها وانا انظر الى داخل المقهى ..كان النادل هناك ..يناول زبونا كوب من القهوة وهو لا يكف عن النظر الينا خلسة ... فإذا التقت عينانا أجفل ..وصرف بصره بعيدا ...

- ماذا دهاك يا حلمي ؟

تحسست ذقنى الخشنه كما يحلوا لى دائما حينما اشعر ان شيئا ما ليس على ما يرام قبل أن أقول لمرسي فى اقتضاب :

- هذا النادل لا يريحني ...

- هذا النادل ليس موجودا على القائمة ...أنت موسوس أكثر من اللازم ولا تبدو بحالة جيدة ..

رشفت رشفة من كوب الشاى ..وأنا أفكر (لماذا يبدو كوب الشاى بريئا أكثر من اللازم ..) قلت لحلمى :

- أنا فعلا لست بحالة جيدة ..منذ الأمس.. كنت أشاهد أحد البرامج الدينية...

قاطعنى انفجار حلمى فى الضحك بصورة ملفتة للنظر ..فنظرت اليه نظرة صارمة بمعنى (أخرس الآن...) فوضع كفه على فمه بمعنى (إننى أحاول ذلك ...)

أخيراً قال وقد دمعت عينه من أثر الضحك :

- حلمى أنت كنت تتابع برنامجا دينيا مس !! ...
- نعم يا أحمق ..وماذا فى هذا . ...؟

لوح بكفه قائلا كأنما يخاطب معتوها :

- لا شئ بالمرة ..أكمل ...
- لا تعجبنى تلك اللهجة ..هل تخاطب معتوها ..؟
- لا ..بل سيد الرجال ...

كنت بحاجة إلى أن أفرغ ما عندى على أذن أحدهم ..نوع من الفضفضة التى لا ألجأ إليها إلا كل ثلاثين سنة تقريبا ..صحيح أن مرسي هو أخر شخص يمكنك أن تفضفض معه ..لكن.. لم يكن لى خيار ...

- كان هناك أحد الشيوخ يتكلم عن قصة رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ثم أراد أن يتوب ..فعرقله أحدهم عن التوبة فأكمل به المائة ...ثم قابل أحدهم فنصحه إذا أراد أن يتوب أن يترك البلدة التى عصى فيها ويذهب إلى مكان أخر نظيف ..وفعل .. ومات وهو فى الطريق ..لكن الله غفر له لأنه نوى التوبة الصادقة ...

ابتسم مرسي قائلا فى غموض :

- نعم نعم ..سمعتها مرة وأنا صغير- ثم مال على كتفى مكملا - حلمى لا تخبرنى أنك تريد أن تتوب الآن ..وهنا ..

- لا ليس الان نحن تعاقدنا مع العميل وتقاضينا مقدم أتعاب .. لكننى أنوى أن تكون تلك العملية هى الأخيرة ...وأتوب ...

- تبا ..هل تمزح ...لا تقل لى أن قلبك المشكوك فى وجوده أصلا قد لان ...

- أنا ايضا كنت أظن أنه غير موجود ..حتى أمس ...أنظر إلينا يا صديقى أى حياة تلك التى نحياها ...؟ نحن نقتل الناس كأننا نقلي بيضة ...

كان مرسي حائرا ..هل أنا صادق حقا ؟ ..أم أن فى الأمر خدعة ...قال فى سخط :

- ماذا تحاول أن تثبت لنفسك ..لنكن واضحين ...

قلت بقرف :

- أنت أبله ..لا فائدة من الحديث معك ..لنمضى فى عملنا المقزز هذا .. ولتنسى بعدها أنك قابلتنى يوما ما ....

- إن كنت تنوى التوبة فعلا ..اترك لى المهمة ..وبقية اتعابك كذلك ...

ابتسمت فى مقت وقد فهمت ما يرمى اليه :

- قلت لك ..أنت أبله ...أنا بحاجة إلى المال لكى ابدا من جديد ... هذا المال ملوث بالدماء ...ولن تصح به توبتك ...

سيغفر لي الله ..

من ادراك ..ثم انك لم تقتل بعد تسعة وتسعون نفسا ..حتى تشرع فى التوبة

هذا شرط ..لابد ان تصل لرقم التسعة والتسعون ...انت لم تفهم القصة ...

لم يعجبنى هذا الرد ..فلكمته فى كتفه وانا اقول بصوت حاولت ان يكون منخفضا :

افهم ايها الحمار الكبير ..انا قتلت اناس كثيرون ..لعلى تجاوزت هذا الرقم

بمراحل ..المشكلة اننى اخشى الا تقبل توبتى لاننى تجاوزت الرقم المحدد ...

قال مرسي فى تشفى :

هل رايت ..لا فائدة من توبتك يا احمق ..

هنا تذكرت ..فقلت بسرعة :

لا لا ..الرجل الذى نصح الرجل القاتل ..قال له انه لا شئ يحول بين المرء

وبين التوبة ..اذن فمازالت هناك فرصة ..لى ولك ايضا ..

دعك منى انا لا اجيد اى عمل اخر سوى القتل ..تلك مشيئة الله .. ولا فكاك منها ..

ويبدو اننى ساموت عليها ...

قالها ثم تناول كوب الشاى لياخذ منه رشفه ..هنا رايت الاحمق يشهق ..ثم الشاى
يخرج من فتحتى انفه ..كوب الشاى يسقط على الارض محدثا دويا مزعجا ..
وشظايا زجاج تتناثر هنا وهناك مع الشاى الساخن ...هنا تحول المشهد الى كابوس
مرسي يجاهد كى يلتقط انفاسه وعيناه الجاحظتان تقولان لى (افعل شيئا يا احمق).قلت له بلا مبالاه وانا ارشف الشاى :

- ينبغى عليك ان تتعلم كيف تكتم انفاسك وانت تشرب ...
- حلمي ...اا ..افعل ..شيئا ..اننى ..امووت ....

قالها وسقط راسه على المنضدة الصغيرة التى يوضع عليها المشروبات ...

***

احتجت الى دقيقتين كى أفهم أن مرسي قد مات .....
كان هناك عدد لا باس به من رواد المقهى ..قد التفو حولى وحول جثة مرسي ...المشكلة أننى لا أفهم كيف يقرر أحدهم أن يموت هكذا من دون طعنة بين لوحى الكتف ..أوطلقة رصاص تخترق جمجمته ..أو اى شئ من هذا القبيل ..أما أن يموت وهو يحتسي الشاى ..هذا هو ما لا افهمه (لكن أين النادل الوغد من كل هذا)

كانت تلك ضربة قاضية لى ..ودرسا لا ينسي ...هكذا نموت فى لحظة ..

- لا حول ولا قوة الا بالله ...
- انا لله وانا اليه راجعون ...

هكذا انهالت على العبارات المواسية والمستغربة ..لكن لم يكن لدى الوقت

الكافي لهذا ..مرسي مات ..وسيصبح نصيبه من الاتعاب حقا لى ..لاننى

ساقوم بالمهمة بمفردي ..اليس هذا خبرا سارا ...وتاملت وجه مرسي

الخالى من الحياة ..رحمك الله يا مرسي ..كان يبدو افضل وهو ميت

هنا لمحته ....

كان قادما ناحية المقهى وقد لفت انتباهه احتشاد الناس ....

اخرجت صورته من جيب سترتى ..انه هو ...طويت الصورة والقيتها

جانبا ..وفى جيب سترتى الاخر كانت يدى تطبق على مقبض المسدس النائم

هناك ..حان وقت الاستيقاظ والعمل يا صاحب العمر ...

التقت عينانا ..لكنه لم يكن متوقعا ما ينتظره ..وسمعت احدهم يواسينى :

تجلد يا استاذ ..كلنا لها ...

نظرت اليه فى حقد ..وخرجت الكلمات من بين اسنانى ملتهبة :

انا لست استاذا ..انا قاتل لعين .....

وقبل ان يفهم اى احد اى شئ ...دوت الطلقات ..وانبطح الكل ارضا

..اما هو فكان ينظر الى ثقبين قبيحى المنظر فى قميصه الابيض الناصع ..ثم ينظر الى محاولا ان يقول شئ ...لكننى ضغطت على الزناد مرة ومرة ...حتى لا اسمع ما يقول ...كان الصراخ والصياح يعم المكان ..ولم يجرؤ احدهم على الاقتراب منى ... كنت الوح بالمسدس الذى تفوح مه رائحة البارود والدخان يفعم انفى ...كنت اصيح بهيستيريا :

- هيا يا حمقى ..لقد انتهى كل شئ ...ويمكننى الان ان اتوب ..واصبح رجلا شريفا ...وأحيا حياة شريفة .

هنا دوت الطلقة ..نظرت الى مسدسى فى دهشة ..من اين انطلقت تلك الرصاصة ..

هنا فهمت ..وعندما استدرت للخلف تلقيت الرصاصة الثانية.. وتكومت على الارض بين المقاعد ..كنت اتامل الان مطلق الرصاص ...كان النادل يحشو مسدسا بدائيا بماسورتين

كان هناك الكثير من الدماء تلوث ارضية المقهى ..لكنها دمائى هذه المرة ..

وبدا الدوار يكتنف راسى ...لم يكن هناك غيرى وغيره ..الكل فر من الجحيم ..وسمعت صوته يهتف وقد انتهى من حشو مسدسه :

- بقية الاتعاب ستكون من نصيبي ..انا ....نحن ابناء كار واحد ..لكن لا تؤاخذنى ..

وصوب ناحيتى مسدسه التحفة ولمحت فى عينيه نظرة ذئب جشع وهو يكمل :

- لو كنت مكانى لما كنت ترددت ...

كنت اعرف تلك النظرة جيدا ...وافهمها واجيدها كذلك ...لكننى كنت غاضبا جدا

كما لكم ان تتصوروا ....والغبي لم يفهم اننى لم اتخلى بعدعن مسدسى ..

بانج ..بانج ..بانج ...

ثلاث طلقات متتابعات ...

خرجت من مسدسى ....

ولمحت النادل يلقى بالمسدس ذى الماسورتين ..وهو يتلوى

ويطلق السباب ....زحفت ناحيته ..بجهد شاق ...وامسكته من شعر راسه وقربت راسه من فوهة مسدسى ...كنت اجاهد كى اتكلم ....

- من استعان بك علينا ....

قال وهو يرتجف كورقه :

- نفس من استعانوا بكم عليه ....

ضغطت بفوهة المسدس على جبهته فى غيظ واصبعى السبابة يتردد فى اعتصار الزناد ..لكن ...

هنا القيت المسدس جانبا ..واستلقيت على ظهرى ..لم انسى ركل مسدس النادل بعيدا حتى لا يفكر فى حماقة تجعلنى اقتله ... وسمعته يلهث الى جوارى وهو يقول :

- لماذا لم تفعلها ...؟

نظرت اليه ..وبدت صورته تهتز امامى ..لكننى استجمعت ما بقى لى من قوة كى اتكلم :

- ماكان يجب لي ان ارى الموت بعينى ..حتى افهم ... واتوقف عن القتل ..

كانت ابواق سيارات الشرطه والاسعاف قد بدات تتعالى

فى حين عض النادل شفتيه فى حنق والم وهو يقول :

- يا أحمق ..من سيأخذ الاتعاب الان ..ضيعتها علي وعليك ....ليست هذه اخلاق اولاد الكار ...

ضحكت حتى سعلت وتناثرت الدماء من بين شفتى ...قبل ان اقول فى سخرية مريرة :

-هذا حمار اخر ..لم يفهم بعد .....

كان دوي أبواق سيارات الشرطة والأسعاف يبتعد..ويبتعد ..لأن وعيي بدأ يتسرب ..ينسل شيئاً فشيئاً من عالمي ..يلوح لي مودعاً من بعيد : سلام يا رفيق ..فأبتسم له في شحوب مودعاً : سلام..

***

النيل مجاشي

الجريمة .....

يقول المصري القديم:

جئتك بالعدل وزهقت لك الباطل..

أنا أعطيتُ الحق لفاعله وأعطيت الظلم لمن جاء يحمله..

لم أظلم إنساناً..

لم أُسيء استخدام حيوان..

لم أرتكب حماقة في مكان الحق..

لم أفعل شيئاً مما نهاه الرب..

لم أتسبب في تعاسة..

لم أترك جائعا..

لم أتسبب في دموع..

لم أقتل..
لم أحرض على القتل..
لم الوث ماء النهر..
من كتاب الخروج في النهار)متون الاهرام (
***
ظهر وجهه على الشاشات كمستضاف مكفهراً منذراً بالويل
السيد (.....)وحديث طويل على الهواء مباشرة حول مستقبل مياه النيل في مصر ...
إلى أين .....؟
عن أرتفاع نسبة التلوث في مياه الشرب وتفشي الأمراض تبعاً له ..تحدث ...
عن دول المنبع ودول المصب والدسائس والمؤامرات تحدث ...
عن سبل ترشيد إستهلاك المواطن للمياه تحدث ....
عن وعن ...وعن ....
لكن .. من كان يستمع ؟
***
-افتح الصنبووووووور.....
هكذا صاح المعلم طه صاحب قهوة كوكب الشرق في صبيه النحيل
الذي يشبه دودة الاسكارس)المصابة بضمور في العضلات (

والذي
أمتدت يده سريعاً تفتح صنبور المياه داخل المقهى، لتندفع المياه عبر
الخرطوم الطويل المتصل بالصنبور، وينتهى عند يد المعلم القاسية
الغليظة، والذي قرر أن يروي الشارع قتلاً للحرارة، وللملل أيضاً،
فيستحيل الشارع بركة من الوحل تنذر السائرين فيها بالويل والثبور.
ولم ينس عم شكري الواقف دائماً في الشرفة المطلة على المقهى ، أن يدعو للمعلم طه بالبركة وطول العمر، لأنه سيقلل بفعلته الشنعاء
من درجة حرارة الجو الخانق ...
وأخيراً وبعد أن تأكد من أن درجات الحرارة قلت بنحو عشرة درجات
على الاقل يهز المعلم طه رأسه الضخم وشاربه المعقوف على خديه
الضامرين علامة على كمال الرضا عن النفس ..ثم يلتفت تجاه المقهى
حيث ينتظر صبيه إلى جوار الصنبور :

-أغلق الصنبووووووور ..

ويتجه المعلم طه إلى جلسته المعتادة حيث استقر أمامه الحجر التمام ..

يدس اللي بين شفتيه الغليظتين المسودتين ..ويده الأخرى تداعب أزرار الريموت كنترول الخاص بالتلفاز المعلق في أحد أركان المقهى

عينه التي تشع بلادة تجوب القنوات المتعددة بحثاً عن قناة بعينها .. وبرنامج معين .....هاهو ذا ....

مازال السيد (.....)المكفهر يلهج :

-لابد للمصريين ان يدركوا الحقيقة المفزعة ..إذا لم نعمل سوياً على ترشيد إستهلاك المياه فنحن مقبلين على كارثة حقيقة ....

من بين شفتيه أخرج المعلم طه سحابة من الدخان قبل ان يهز راسه

قائلاً في رضا :

-كلام جميل ..كلام معقول .....

***

عوضين في ورطة ...

لماذا ...؟ لان الحمار الذي يجر عربته الكارو قد نفق ..بالفعل نفق ...

وهو الأن في ورطة ..كيف سيعود إلى داره ..والأهم ..

كيف سيتخلص من جثة الحمار ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

كان عوضين رجلاً عملياً ..دس يده القذرة في جيب سترته التي لا تقل

قذارة وأخرج هاتفه المحمول وطلب رقماً ....

-ألو ..سيد ...أنا عمك عوضين ..أين أنت ..؟ ممم ..إسمع أنا الأن

في شارع (.....)لقد مات الحمار ..فعلها النذل معي .. تعال بسرعة

ومعك الحمار)الأستبن .... (

واغلق هاتفه وهو يسب ويلعن طالعه ..ويلعن أم بيومي التي اصطبح

بوجهها العكر حتى جاء أخيراً الأخ سيد وكان نموذجاً مثاليا للقذارة

المجسدة وكان يجر خلفه الحمار الأحتياطي التعس ...

وسرعان ما تم كل شئ بسرعة المحترفين ...وعادت العربة الكارو

تنهب الشوارع وهي تحمل عوضين وسيد وجثة الحمار النافق ...

لكن إلى أين ؟؟؟؟

حيث لا يستطيع أحد أن يراك ...وحيث تستطيع جر جثة الحمار بالحبال

حتى ترتطم في النهاية بالماء العذب ..وتستقر في قاع النيل...
وقف عوضين وسيد يستجمعان الأنفاس وهما يتاملان مياه النيل التي
غاصت فيها جثة الحمار ولم يعد لها أثر ...قال عوضين في تاثر :
-الله يرحمك يا رجب .....
واضح أن رجب هو الحمار الفقيد ..وانه كان عزيزاً عليه لذا ...
قرر ان يدفنه في قاع النيل العظيم ....ودون مقدمات مد عوضين كفيه
الى الماء فغسل وجهه ثم رشف بكفه رشفة بتذوق كأنما يختبر مذاق
مياه النيل بعد أن ألقى فيها جثة الحمار ..ثم هز رأسه في إطمئنان قائلاً :
-الله يرحمك يا رجب .....
***
((مسافر زاده الخيال ...
والسحر والعطر والظلال))...
***
صوت عبد الوهاب يأتي من المذياع..
كنت أحلق ذقني في الحمام وكالعادة فتحت صنبور المياه لأزيل كريم الحلاقة مع الشعر العالق بماكينة الحلاقة ..وكالعادة تركت

صنبور المياه مفتوحاً ..
تأملت وجهي في المرءاة وتحسست ذقني ..مازالت بحاجة إلى.....
(وش معجون) أخر ...
تناولت كوب الشاي الذي كنت أضعه في التجويف الخاص بصابونة
الوجه .. رشفت منه رشفة، ثم صاحبت الأغنية بصوتي الفظيع :
-ظمأن و(الماج !!)في يديه والحب والفن والجمال.....
تباً.. لم يكن في القصيدة ذكر لأي (ماج) ..لقد بدأت أهذي .....
هنا قطع حبل أفكاري صوت صراخ ابني محمد من خارج الحمام :
-بابا ...أريد الحمام ضروري .....
كنت أصنع بالوناً بصدغي الأيمن ليساعدني في إقتلاع الشعر من جذوره ..قلت في ملل :
-كلنا هذا الرجل يا محمد ...
-هل ستتحمل النتائج ?...
-لا ...أمك هى التي ستتحمل النتائج ...
وفتحت باب الحمام لأجده يقفز وهو يتلوى ..ولم يكد يلمحني أخرج
واضعا المنشفة على عاتقي وكوب الشاي في يميني حتى قفز

داخل
الحمام صافعاً الباب خلفه ..وقفت أرشف قليلاً من الشاي ثم تذكرت
شيئاً ما ....
-محمد ..لا تنسى غلق صنبور المياه ..لقد نسيته مفتوحاً .....
تباً ..الاطفال مهملون بالفطرة !!مؤكد سينسى غلق الصنبور ....
والتفت لأكمل طريقي متجهاً إلى غرفة نومي و ...هنا ظهرت زوجتي
سامية قادمة من المطبخ وهى تحمل في أحدى يديها شمعة وفي الأخرى
علبة ثقاب ...وعلى وجهها رأيت الشياطين تتقافز مهللة في حبور ...
-أين ذهب العفريت الذي انجبته يا عزب ...؟
-أنصرف ..أأ ..اقصد أنه دخل الحمام ..ماذا فعل ..؟
صاحت في غيظ :
-يريد أن يهرب – ..وصاحت في وحشية لتسمعه داخل الحمام – الشمعة بانتظارك بالخارج لن تمكث عندك إلى يوم القيامة ..هه ...
هرشت راسي في عدم فهم ..ثم تسائلت في براءة :
-ماذا فعل ذلك الشقي ..؟ وماذا ستفعلين معه بتلك الشمعة ..؟

-ابنك قام بكسر زجاجة زيت الزيتون الجديدة وسالت كلها على الأرض..

أمسكت صدري في ألم ..اعتقد انه حان الوقت كي أصاب بذبحة صدرية ...

زجاجة زيت الزيتون ...لتر كامل أشتريته أمس ولم نستعمله ...حسبي الله

ونعم الوكيل ...وأكملت سامية والزبد يتطاير من شدقيها :

-لقد أقسمت لو عبث بها سأحرقه بالشمع ...

قلت وأنا لم أتخلص بعد من الصدمة :

-هل ستحرقينه فعلاً ؟

-وماذا تريدني أن أفعل ؟

-اعتقد أن المكواه الكهربائية حل أكثر عملية ....

صرخت في وجهي بغل :

-هل تمزح ..دائماً تمزح ..ذلك الشيطان المدلل هو نتيجة تساهلك ..

قلت لها في محاولة لتهدئة ثورتها البركانية :

-ليس هذا حلاً ..أنا أكثر شخص متضرر الأن ..لقد دفعت ثمن زجاجة

زيت الزيتون وقمت بوضع خطة كاملة لترشيد أستهلاك الزيت .. وكل هذا ذهب هباءً...ومهما فعلت مع محمد فلن تعود لي زجاجتي

الراحلة ..

المشكلة أننا نتعامل مع الصغار حين يخطئون كما لو كانوا كباراً بالغين
ونتعامل مع الكبار المخطئين كما لو كانوا صغاراً غير راشدين ونلتمس
لهم الأعذار ...
فقط الصغار يسهل عقابهم ....
وأحياناً نخرج جزء من الكبت والغل الذي بداخلنا ونحن نعاقب صغارنا ..
طبعاً لم اصرح بهذا لزوجتي العزيزة سامية ..حتى لا تقرر دفن الشمعة
التي بيدها في عيني ..لكنني حاولت أن اصرف عنها فكرة العقاب بلسع
الشمع ..وأن لسع النحل افيد ..و..و ..حتى هدأت قليلاً وقررت أن تذهب
لتعد لنا الأفطار ....
مشكلتي هى أنني لا أستطيع تناول اى طعام بدون تلفاز ...
لا أقصد طبعاً أنني أضيف قليلاً من التلفاز إلى الفول ..هذا صعب الهضم

كما هو معلوم ..إنما اقصد مشاهدة التلفاز اثناء الأكل ..كان هناك برنامج
على الهواء اسمه (.....)المثير في الموضوع أنهم كانوا مستضيفين
السيد الأستاذ الدكتور (.....)تصوروا ...وكان مكفهراً كعهدي به ..
وكان موضوع البرنامج عن مشكلة مصر الأبدية ..المياه .. وترشيد
إستهلاك المياه ...كأننا سنستيقظ غداً لنجد أن النيل قد نضب ..لا أحب
هذا التهويل كما ترون ...على كل حال قررت المتابعة ..على حين انخرطت
سامية في الأفطار فهى لا تحب الانشغال بشئ عن الطعام ...
كان السيد (.....)يتكلم بكأبته المعهودة :
-النيل لم يعد ذلك الفارس النبيل الصموت الودود ..ويوماً ما سيعلن عن
رأيه فينا بصراحة ..وهو أننا لا نستحق قطرة من مياهه المتدفقة منذ الاف
السنين ..
وعقد حاجبيه المخيفين ليزيد الطين بلة مستطرداً :

-وها هو ذا قد بدأ يكشر عن أنيابه ...

لا ادري لماذا احتضنت محمد لا شعوريا وانا أنظرفي رعب للسيد (.....)الذي

أكمل بصوت كالفحيح :

-في خلال عقدين من الأن ..لن تكفي مياه النيل حاجة الشعب .. وحدث

ولا حرج ..مجاعات ...حروب ...دماء .....والحل ...يكمن في إيجاد

المصدر البديل لمياه النيل ....

- (اتنيل)

هذه كانت مني ..لكنني فوجئت به ينظر لي شزراً من خلال شاشة التلفاز فعدت احتضن محمد وانا ابتلع ريقي في صعوبة ..وسمعت صوته يهدر :

-وإلى أن نتكاتف بعد عمر طوييييل ونحدد مشروعنا القومي القادم لجلب

مصدر جديد للمياه ..علينا أن نصون النعمة الربانية التي وهبنا الخالق أياها

النيل ....الذي يجري منذ الاف السنين دون كلل او ملل او أعتراض ..

لكننا لا نضمن له أن يظل كذلك بعد أن بلغ السيل الزبى ....

نظر لي محمد متسائلاً في تلقائية :

-بابا ..ما معنى بلغ السيل ال- - .....

لم يكمل لأني وضعت كفي على فمه ليخرس ..وحتى يتسنى لي متابعة

السيد الأشكيف ..الذي تابع وهو ينظر لي في حقد :

-تلوث ...سوء أستهلاك ....نترك صنابير المياه مفتوحة طوال الليل والنهار ..

هنا نظرت لمحمد كالملسوع .. فهز كتفيه في براءة مصطنعة قائلاً :

-أسف يا بابا ..نسيت غلق الصنبور كما امرتني ....

قلت له لائما :

-دائماً نسيت يا بابا ...متى ستتذكر ...ألا تسمع ما يقال ..النيل نعمة من عند

الخالق ولابد أن نصون النعمة حتى تدوم وتبقى ..ايها الحمار الصغير ...

فأطرق برأسه إلى الأرض في خجل قائلاً :

-اعدك يا بابا انني ساتذكر في المرة القادمة ...

-عقاب لك على نسيانك ..بعد أن تتناول إفطارك ..وتحبس بكوب شاي

ستقوم لغلق صنبور المياه الذي نسيته .....فاااااهم ...

هنا صرخت سامية وقد جنت تقريباً :

-رحمتك يااااااارب ...

وهبت واقفة وقد تحولت إلى إعصار مدمر مستطردة :

-سأذهب أنا لأغلق صنبور المياه ...

ابتسمت لها في إشراق ..ثم التفت إلى محمد قائلاً :

-قل لماما شكراً .....

نظرت لي في غيظ وهي توشك على خنقي فقلت لها بلا مبالاة :

-لا داعي لكل تلك العصبية ..كل هذا من أجل صنبور المياه

هل تصدقين كلام التلفاز ...

-نعم أصدق ....

-أنت أعقل من هذا ..النيل لا يمكن أن ينتهي ..

ولوحت بكفي قائلاً في إستهتار :

-النيل نجاشي يا سامية ...هل تفهمين ..النيل نجاشي ...

***

العقاب

في الصباح قمت مغمض العينين إلى الحمام....

وامتدت يدي لتفتح صنبور المياه ....

تباً ...ليس هذا وقت انقطاع المياه .....

***

-افتح الصنبووووووور .....
انتظر المعلم طه طويلاً حتى تأتيه المياه تتدفق عبر الخرطوم لكن في النهاية ظهر صبيه وعلى وجهه أمارات التعاسة ..
-انقطعت المياه يا معلم ...
-تباً ...ليس هذا وقته ....
وفي الشرفة المطلة على المقهى كان عم شكري يستعد ليلهج بالدعاء للمعلم طه بعد أن يروي الشارع بالمياه ليخفض درجات الحرارة ثم توقف ..وقد أدرك أن المياه انقطعت
نظر للمعلم طه باشمئزاز ..ثم دخل إلى بيته وهو يهتف :
-أمري لله ..شغلوا التكييف ....
***

أما عوضين فكاد يفقد صوابه حينما تمدد أمامه حماره الأحتياطي وقد لفظ انفاسه الأخيرة ...في هذه المرة قرر ان يستلف حمار قريبه سيد ...وتكرر المشهد المخزي عوضين وسيد يجران جثة الحمار النافق إلى حافة النهر ..وهوب .....
فجاة تسمر عوضين وهو ينظر تجاه النيل ..ثم صاح في جزع :

-يا نهار أسود ...أين ذهب النيل .....

***

أين ذهب النيل ....

كان هذا هو السؤال الذي تلهج به السنة الملايين من المصريين بحثاً عن جواب ...لكن بلا جدوى ....

ترك المزارعين الحقول ...وترك العمال المصانع ...وترك الموظفين مكاتبهم خاوية ...توقفت دور السينما عن العروض وخرج روادها هائمين على وجوههم ...توقفت مباريات كرة القدم ..وغادر جمهور اللعبة الشعبية الأستاد تسابق خطواتهم خطوات اللاعبين ...

أصحاب محلات وسط البلد يتركون محلاتهم ...أصحاب محلات الذهب ..البنوك ..الكل ترك محله خاوياً ...الملايين يعبرون فوق النقود الحمراء والخضراء والذهب والفضة ويدهسونها بالأقدام

الكل هائم على وجهه يقصد مكان بعينه ....مكان أهم من المال و الذهب والفضة .....

وحول شفير الحفرة العملاقة التي حفرها النيل منذ الاف السنين وتركها اليوم جافة مكفهرة تكدس الملايين من البشر ...مشهد كابوسي ..لا تتخيله ...؟

بل يجب أن تتخيله ...

لاشئ سوى العواء والنحيب ...والوجوه المسودة ....يوم الحشر ...

لكنه يوم حشر خاص بالمصريين ...

وخرجت أنا المواطن عزب ابن من ابناء هذا النيل الراحل من وسط الصفوف

وتقدمت للأمام ...محتضناً ابني محمد الذي كان مصدوماً وقد تحجرت الدموع في مقلتيه ..

-بابا ..هوالنيل زعل مننا ..

اعتصر الأسي قلبي وانا اضمه إلي :

-نعم يا محمد ..النيل زعل مننا ....

-ألن يعود ثانية ....؟

نظرت إلى عينيه البريئتين وعجز لساني عن الاجابة ....

رفعت طرفي ملتاعاً إلى السماء كأنني أستشف منها جواباً ...

هنا بدأت الكلمات تتردد داخلي ...

***

كلمات حفرها جدي الأول على جدران القبور ...

كلمات حفرها الجد الوثني ...

ولم يفهمها حفيده الموحد إلا الأن ...

وجثوت على ركبتي وحذا محمد حذوي

وخلفي تتابعت الملايين الكل يخر جاثياً على ركبتيه

ورفعت يدي إلى السماء وردد الوادي كلماتي :

-جئتك بظلمي لنفسي وزهقت الحق بجهلي

أنا أعطيتُ الحق لمنكره وأعطيت الظلم لمن جائني عادلاً .....

أقر واعترف لك يا رب ...

انني ظلمت اخي الانسان

وأنني أُسأت استخدام الحيوان

وأنني ارتكبت حماقة في كل مكان

وأنني فعلت ما يغضب الرب

وأنني تسببت في تعاسة

وأنني تركت جائعا

وأنني تسببت في دموع

وأنني قتلت ببرود

وأنني حرضت على القتل

وأنني لوثت ماء النهر

شعور جارف بالأسى والمرارة ويدي تقبض على

جفنة من طمي النيل وتعتصرها في شوق متلهف ..ورددت في ألم

:

-وانني لوثت ماء النهر .....

***

المشهد الذي لا ينسي ...وسينحفر في ذاكرة أمة وادي النيل ...

وسيسجله التاريخ بماء من ذهب ...
اليوم الذي نزل فيه شعب وادي النيل ..ينظفون مجرى النيل ..من عفن وعطن وأحقاد وظلم وبغي وعدوان ..
الكل يشمر عن ساعده ...الكل ملطخ بالأوحال ...
الكل يعرف الأن قيمة كل قطرة أراقها من هذا النهر ...
ويعرف أنه سيعود ...
حتماً سيعود ...
بعد أن نطهر له مجراه ....
حتى يليق المجرى بهذا النهر العظيم الذي أصله من الجنة ...
لا ادري لماذا تذكرت الان وأنا ملطخ بالأوحال كلمات تلك الأغنية ..

***

ولا بيوصل ولا بيتوه..
ولا بيرجع ولا بيغيب..
النيل سؤال ومازال ماجاش عليه الرد..
من قد اية ولفين مقلش عمرة لحد..
سهران يوشوش ناى والحلم رايح جاى..
قباله ع الشطين بيحب صوت الناس..
وغنا البنات بالليل..
بيكرة الحراس لما بتدوس بالخيل..

ولابيوصل..

الـجنة ههنا

زبالة الشمعة تتراقص ..نظر إليها ..لم يعد حجم الشمعه كما كان ...

مر وقت طويل وهو يكتب ويدون ..دون كلل أو ملل ...

لكن الشمعة المصنوعه من الدهن ..أعلنت أنها ستنتهى عما قريب ...

ومعها ينتهى أخر أمل فى أن يكتب ثانية ...

هل سيحضرون له شمعة أخرى ..؟

هل سيهتمون بما يكتب ..ويتركون له أخر متنفس باقى لديه .. الكتابه؟ ...

هل يطلب منهم ...؟

هو الذى لم يتعود ان يطلب أى شئ من أى أحد ...

هو الذى عاش حياة حافلة ..مليئة بالانتصارات والكروب ...
هو الذى اكتسب أعداء بعدد النجوم ..قلوبهم هى ظلمة الليل البهيم ...
وانتهى به المطاف كما كان متوقع له ...فى سجن القلعه ...
وسرح بذاكرته للوراء قليلا ..

***

الأقدام القاسيه فى الأحذيه الأشد قسوة تؤلم الأرض طيا...
لقد جاءو أخيراً من أجله ...

***

-لقد بلغ السيل الزبى ...وأرى أن يرفع الأمر الى السلطان ...
تامل نائب السلطنة الورقه التى يلوح بها القاضى أمام عينيه.. قال:
-هل صحت نسبة هذه الفتوى إلى تقى الدين ؟
قال القاضى كأنما وجهت له إهانه :
-وهل يفترى الدعاة إلى الله على هذا المارق ...؟!!
-حاشا لله ..
-إذن ارفع الأمر يا نائب السلطنة إلى السلطان ..الرجل بعقيدته المنحرفه عن منهاج النبوة يضل العوام ويودي بهم الى سواء الجحيم ...
قالها القاضى ثم أرسل نظرة جانبيه إلى لفيف من أصحاب العمائم والتى تدل ثيابهم على انهم اصحاب رتب دينيه كأنما يستحثهم على

الكلام فقال احدهم وهو يلوح بذراعيه حانقا :

-تقى الدين ..يشهر الخلاف على علماء القبله ..ويخالف أصحاب المذاهب الاربعه ويجهر بالمخالفه ..تذكروا فتواه فى مسألة الطلاق ...

أيده أخر قائلا :

-إنه مازال يفتى بها رغم أنه حذر من ذلك ..واليوم فتوى تحريم زيارة القبور ..وغداً يأتى المزيد...

وصاح أخر:

-وهذا يفرق الأمه ..ويفقدها الثقه فى علمائها ...

والتفت القاضى إلى نائب السلطنة وقال فى لهجه تقطر حقدا :

-إن استقرار الدوله وهيبتها تحتم على صاحب الامرانهاء هذا الامر ....

تأمل نائب السلطنة الوجوه الغاضبه الحانقه ..

هذه الوجوه التى من المفترض انها تغضب للحق ..

كان يعرف انهم يمقتون تقى الدين ..ولن يهدأو حتى ينمحى ذكره من الوجود ..

وعلم انه لا مناص من رفع الامر الى السلطان ...

كانت علاقة السلطان بتقى الدين علاقة حديديه ..لكن حتى الحديد يلين تحت الضغوط ...

وصدر المرسوم الملكى بالقبض على تقى الدين ...

***

الاقدام القاسيه فى الاحذيه الاشد قسوة ..تؤلم الارض طيا ...
لقد جاءو اخيرا من اجله ...وهاهم قد وصلوا الى داره ..
الايدى القاسيه ..تنهال على الباب الخشبى ..
وانفتح الباب اخيرا ليبرز وجه تقى الدين ..كان هادئا ..وكان لبريق عينيه
معنى واحد ..
انه كان يتوقع المشهد بالخارج ...
-كنت انتظركم ...
وسار تقى الدين مع كوكبه العسكر الذين جاءوا لاعتقاله ..وكان سجن القلعه ينتظره ..وعندما اغلقت عليه الزنزانه سمع الجند صوته يتردد من خلف الباب :
-فضرب بينهم بسور له باب ..باطنه فيه الرحمه وظاهرة من قبله العذاب ..

***

زبالة الشمعه تكاد تنطفئ ..انها النهايه....
هكذا الحياة ذاتها ..
كم حاولوا اثنائه عن عقيدته ..وزحزحته عن ارائه ..وكم هددوه ...

وكم اذوه ...لكنه ذلك الجبل الاشم ..الرجل الذى لا يتكرر ..
وتحسس الجدار الصلد ..واطلق زفرة حارة اودعها كل ما يعتمل فى نفسه
من احزان ..وردد سجن القلعه بدمشق كلماته :
-ما يصنع بى اعدائى ..ان جنتى وبستانى فى صدرى ..اينما ذهبت ..فهى معى
وكان هذا اليوم هو اليوم الذى قرروا فيه منعه من الكتابة والتدوين ..
وجاء السجان ليحمل المداد والورق خارج الزنزانه ..
وشعر تقى الدين انهم ينتزعون روحه من جسده ..
كانوا قد قرروا قتله ..بطريقه نظيفه ..دون دماء ...
لكنه كان ينزف ..
من داخله كان ينزف ..
وشيع السجان بنظراته وهو يحمل الورق والمداد ويغادر...
-جنتى وبستانى فى صدرى ..اينما ذهبت فهى معى ..
توقف السجان ..ثم أستدار اليه ببطء..
واكتست ملامحه بالإشفاق على هذا الإمام الجليل
الإمام الذي وقف ينظر في عين السجان بثبات قبل ان يقول :
-جنتي لن يستطيع أحداً انتزاعها مني ..

وضم قبضته إلى صدره قائلا :

-لأنها ههنا...

أطرق السجان برأسه إلى الأرض في أسى قبل أن يقرر أخيراً الخروج...

وينغلق باب الزنزانة من خلفه.. وظل تقى الدين جامداً مكانه برهه وقبضته مضمومة إلى صدره...

وصرف بصره إلى نافذة السجن حيث انعكس ضوء القمر المتسلل على تعبيرات

وجهه لتزيده حزناً ....

وخرجت الكلمات من صدره ملتهبة مفعمة بالجراح :

-سجنى خلوة ..ونفيى سياحه ..

و نظر الى الأفق ..واستطرد كإنما ينتزع الكلمات انتزاعا من صدره:

-وقتلى شهادة ...

وانطفأت زبالة الشمعه ..وعم الظلام المكان .....

***

فى الصباح ردد سجن القلعة نعى تقى الدين ...

وبعد موته اخرج من زنزانته العديد والعديد من المؤلفات والمصنفات

التى كتبها الشيخ من صدره ..

حاولوا ان ينسبوا اليه مكتوب يتراجع فيه عن عقيدته ..لكن هذا لم يفلح ..

وتبين ان فتوى تحريم زيارة القبور مدسوسة على الشيخ ..واثبت العكس..

كانت جنازته المهيبه تعبر بقوةعن مدى علو قدره عند العوام والخواص ..

وبعد مرور سبع قرون ..

صارت عقيدته تدرس فى كثير من بلدان المسلمين ومرجعا لهم فى اصل اعتقادهم ...

وصارت فتاواه مرجعا للعلماء من بعده ..

صارت فتواه فى مسألة الطلاق التى حورب من اجلها هى الفتوى المعتمده اليوم فى مصر ...

***

" ما يصنع بى اعدائى ..ان جنتى وبستانى فى صدرى اينما ذهبت فهى معى "

شيخ الاسلام، ابن تيميه، قدس الله روحه ...

***

الشهيد

ربما حان الوقت كي أحكي لكم قصة الشهيد ...
قابلت هذا الرجل مرة واحدة ..وعلمت أن هذا اللقاء
سينحفر في ذهني إلى أن أموت ..قلما يقابل الواحد منا
اثنين على مدار حياته من هذا النوع من الرجال ....
كما ان ما حدث في هذا اللقاء تشيب لهوله
الولدان ....ويبقى كالجرح الغائر في أعماقك
ما حييت .....
متى كانت البداية ...؟
لعل البداية كانت في الشام ...
***
دمشق ..منتصف القرن الرابع الهجري ....

***

قام أحد الحضور في ساحة المسجد وضم عباءته طلباً للكلمة ..
جذب نفس عميق ثم بدأ يتكلم :
-ما قولكم يا إمام فيما أحدثة بنو عبيد من بدع ومنكرات بالبلاد التي ظهروا عليها مؤخراً ...
اتجهت انظار الجموع الحاضرة إليه ..
كان قد اعتراه الصمت وبدا عليه التاثر وهو يطرق إلى الأرض ..
كان يستعيد تلك الذكرى الأليمة ....
ذكرى خروجه من الرملة هرباً من بطش العبيديين الذين زحفوا بعد استيلائهم على مصر إلى الشام ودخلوا بيت المقدس ....
وكيف التجأ إلى دمشق ..وكيف صار إماماً يلجا الناس إليه في النوازل التي حلت بالمسلمين ....
وكان على الشيخ الرملي الشهير بابن النابلسي أن يجيب السائل ..
وهو يعلم أن إجابته ستطير في الأنحاء ..حتى تصل إلى الأعداء ....
أخيراً خرج الشيخ الرملي عن صمته ..وبدأ يتكلم في ثبات :
-بنو عبيد ...لا رحم الله فيهم مغرز إبرة ...غيروا الملة ومزقوا الأمة ..
ثم جذب نفس عميق وهو ينظر إلى الأفق مليا ..

قبل أن يردد كلمته التي حفرت في
سجلات التاريخ ليتردد صداها عبر الأزمان :
-لو كان مع احدكم عشرة أسهم فيجب عليه أن يرمي واحداً في الروم
وتسعة في وجه ذلك الطاغية الجالس على عرش مصر الأن ...
سرت همهمة بين الجموع الجالسة ..وتجهمت الوجوه ...
الكل يعلم أن العبيديين على الأبواب ..
وحاكم دمشق لن يتوانى عن مصانعتهم .....
ولن يجد افضل من رأس الإمام الهارب من الرملة ليهديها
إلى المعز لدين الله صاحب مصر ...
وتأكد لدى البعض أن الشيخ الرملي قد وقع على قرار
إعدامه بتلك الفتوى ....الفتوى التي صارت حديث الناس ...
ولم يمض الكثير ..حتى جاءت كوكبة من الفرسان
الدمشقيين لتقبض على الشيخ الرملي ...
ودخل الرملي السجن في رمضان ..ومصيره قد تحدد
سلفاً ..فقط يصل قائد جيوش المعز إلى دمشق ويستلم
الشيخ الذي ازعجت فتواه عرش العبيديين....
وجاء اليوم الذي وقف قائد جيوش العبيديين على بوابة
دمشق ينتظر في ملل ....
وشيع اهل دمشق شيخهم الرملي محمولاً في قفص

خشبي في طريقه إلى مصيره المحتوم ..
يعرفون انها ستكون المرة الأخيرة التي يرون فيها
ذلك الرجل الزاهد المتماسك رغم المحن ...
والذي يذكر ربه فتضطرب لحيته ويحاول أن ينتزع
من بين شفتيه أبتسامة واهنة مشجعة ...
أنت بدأت الطريق ...
وعليك وحدك ان تتحمله حتى نهايته .....
...مازال طريقك طويلاً صعباً إلى مصر
وعليك أن تظهر لأعدائك الجلد حتى أخر رمق ...
عليك أن تلقنهم درساً في الثبات لن ينسوه ...وستتحاكى
به الأجيال القادمة ...
***
وكان اللقاء التاريخي في مصر ..
بين الخليفة العبيدي المعز لدين الله ..
والشيخ الرملي الذي جاء يرسف في الأغلال وقد حولته
الرحلة الشاقة التي خاضها من الشام إلى مصر في قفص
خشبي إلى كومة من العظام المتهالكة في ثياب بالية ...
لكنه وجد القوة التي تجعله يرفع طرفه إلى المعز في بطء وكبرياء
....
ويتأمل للمرة الاولى وجه عدوه اللدود في تحد واضح ....

اتكئ المعز على مسند عرشه المبطن بالحرير وانعقد حاجبيه وهو يتأمل الرملي قائلاً :

-بلغنا انك قلت إذا كان مع الرجل عشرة أسهم يجب ان يرمي في الروم بواحد ويرمي فينا التسعة ...

فهز الشيخ راسه نافياً وهو يقول في تهالك :

-ما عدت أقول بهذا ...

تهللت اسارير المعز حتى نافست الألئ والحلي المرصعة في عمامته ..ونظر إلى حاشيته في انتصار ..ثم التفت إلى الرملي وهو يداعب لحيته في استمتاع :

-وماذا تقول الأن ..؟

صمت هنيهة وهو يستجمع انفاسه ..قبل أن يقول وهو يضغط على كلماته :

-أقول الأن ...اقول الأن لو أن مع الرجل عشرة أسهم .. يجب عليه أن يرميكم بتسعة ..

وضيق عينيه وهو يشير إلى المعز مستطرداً :

-ويرمي العاشر فيكم أيضا...

هنا ضج البلاط الفاطمي بالصخب ..وتراجع المعز مذهولاً غير مصدق لما يسمع ..ووقف الرملي يرمق حاشية المعز وكبار دولته بلا مبالاة وهو يبتسم بركن فمه .. أخيراً وجد المعز ما يقوله :

-لماذا تكرهنا إلى ذلك الحد أيها الرملي ....؟

نظر إليه الرملي ملياً ..قبل أن يقول في مقت :

-لأنكم ...لأنكم غيرتم الملة وأطفأتم نور الإلهية ..

وقتلتم الصالحين .....

عاد الصخب من جديد ..مع الهتافات المعارضة لكلام

الرملي ..فرفع المعز يده فساد البلاط الصمت المطبق ...

كان يرمق الشيخ بنظرة نارية وهو يقول بصوت هادر :

-هناك واحداً لم يقتل بعد ..أيها الرملي .....

ثم التفت إلى رجاله صائحاً :

-ليحمل هذا الهالك فيشهر في يوم ..ويجلد في اليوم

الثاني ..وفي اليوم الثالث يسلخ حياً ..ويحشى جلده بالتبن ..

وهنا ...

وهنا شاعت على وجه الرملي ابتسامة شاحبة وهوينظر للمعز

مليا ...

ثم قال في شرود كأنما يحلم :

-كان ذلك في الكتاب مسطورا .....

***

اليوم الأول ..

التشهير ..

تأمل أيها الرملي ..الناس المشفقين ..ومر بين الباعة
وسلعهم ..فيكف كل منادي عن الصياح مادحاً سلعته ...
تتجمد الأيادي المقبلة والمدبرة تتفقد الغلال والحبوب ...
تتوقف الحركة والحياة كأنك الحي الوحيد وسط الأموات ...
الرملي في قلوب العامة لا يحتاج إلى تشهير ..
الرملي الذي لا يكف عن التبسم رغم شحوبه وهو يردد
دون كلل أمام الانظار المشفقة :
-كان ذلك في الكتاب مسطورا ....

***

اليوم الثاني ..
الجلد.....

الجلادون عراة الجذوع بسواعدهم المكتنزة بالعضلات
ينهالون بالسياط على الجسد الذي استحال دماً ودماء ...
يعتري بعضهم الإعياء فيركنواإلى السواري ليستجمعوا
الأنفاس ...
ومن بين الدماء والالام يبتسم ويرفع طرفه للسماء مردداً :
كان ذلك في الكتاب مسطورا .....
***
اليوم الثالث ...
السلخ .....

ولم يتقدم جزاراً واحداً لقبول تلك المهمة القذرة ...
وصاح المعز في ثورة :
-ابحثوا عن جزار قذر ...
-يهودي مثلاً ..؟
-ليكن ...
***
تأملت الذبيحة التي امامي ثم صرفت بصري إلى زبائن
اليوم ...وابتسمت في جشع ..لقد ابتسمت الحياة لك يا موسى

منذ دخل العبيديين مصر ..زادت زبائنك ..وامتلأت دارك بالخيرات ...وغداً تحتكر مهنة الجزارة ولا يصير لك منافسين احياناً اشعر أن الفاطميين أقرب لي من بني جلدتي وابعد ما يكون عن بني جلدتهم ...

هنا لمحت الركب القادم ...غبار وصهيل خيل ..ورأيت الزي المميز للجند الصارمين ..وافسح الزبائن المزدحمون حول محل جزارتي الطريق للقادمين ...

نزل كبيرهم عن جواده ..ونظر لي قائلاً بلهجة من لا يقبل الجدل :

-انت ايها اليهودي ..تعال معنا ....

صحت في جزع :

-ويلي ...ماذا اقترفت ....

هنا قبضت أصابعه كالكلابات على عنقي تجذبني إليه وهو يقول في صرامة :

-انه يوم سعدك ..تعال .....

وكانت هناك ساحة واسعة قد اعدت ليوم السلخ المشهود ...

وعلمت المهمة التي كلفني بها الخليفة شخصياً ...ساقوم بسلخ الرجل القادم من بلاد الشام ...وكان المقابل سخياً يسيل له لعاب اي جزار ماهر ...فقط الحمقى هم الذين يرفضون القيام بتلك المهمة لاعتبارات دينية .....اما انا

فقد اخذت عهداً بحمايتي من بطش المسلمين ..فهم سيشاهدون بعد قليل عرض لن ينسوه ...يهودي يسلخ رجل دين مسلم وهو حي ....

***

كنت اتحاشي نظرات الجماهير التي احتشدت في الساحة وشغلت نفسي بشحذ سكاكيني كأي جزار ماهر يستعد لذبح بهيمة وسلخها ..صحيح انني لم اقم بسلخ حيوان وهو حي من قبل ...لكن تجربة سلخ بشري وهو حي ستصقل خبراتي بكل تأكيد ....

اخيراً جاء ....مقيداً محمولاً على عربة تجرها الدواب .... وتعالى صوت النحيب من الجماهير ...والبعض يشير للقادم بالمناديل ..لا تشاهدوا هذا يا حمقى ...

انتم اردتم هذا ....

في وسط الساحة قاموا بتقييده إلى عامود خشبي يشبه النطع ..واقسمت الا انظر في عينيه حتى أسلخه ..لكن تفلتت مني نظرة إليه ..فشعرت برعدة ...ماهذا الشيخ ..رغم الهوان الذي ذاقه ..لكنه يبدوا شامخاً مهيباً يحاول ان يبتسم في إنهاك مشجعاً فترتعش شفتيه وكان يتمتم ببعض الكلمات عرفت فيما بعد أنها كانت قرءاناً ...

كان هذا هو اول لقاء لي بهذا الشيخ ...
وكان الأخير ...
وتناولت سكيناً بيميني...
هنا علا الصياح من قبل الجماهير حين تناولت السكين ..
ولاحظت أن كفي ترتعش ..
تباً ...
استجمعت انفاسي المتلاحقة ...
لن انظر في عينيه ...
لن انظر في عينيه....
لن انظر في عينيه ...
ودعوت الرب أن يثبتني ...
يارب ثبت عبدك موسي ..حتى يفرغ من سلخ هذا البوييم ...
واخذت اردد حتى اثبت بعض كلمات سفر حزقيال ..
.-الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء ...
أقتلوا للهلاك .....
أقتلوا للهلاك .....
أقتلوا للهلاك .....
وانغرس النصل في مفرق رأس الرجل ....
وضج الناس بالبكاء ...
التفت إلي الشيخ ..كانت شفته ترتعش وانا امسك

فروة رأسه المتدلية وأجذبها لأسفل ...تباً ..أنه مازال يقرأ القرأن ..

-كان ذلك في الكتاب مسطورا.....

كان ذلك في الكتاب مسطورا .....

كان ذلك في الكتاب مسطورا.....

اقتلوا للهلاك ...

صياح ..عويل ..النصل مازال يشق طريقه في اللحم ..

-كان ذلك في الكتاب مسطورا ...

أقتلوا للهلاك ....

الدماء تغرق كفي ...

أقتلوا للهلاك ....

السكين ينزلق من كفي ويرتطم بالأرض....

وساد الصمت ....

-كان ذلك في الكتاب مسطورا.....

اخيراً سكنت الجموع الصاخبة المتوسلة ....

جثوت على ركبتي اتناول السكين الملطخ بالدم ...

وحبست الجموع انفاسها .....

وتحاملت على كفي بالسكين كي استقيم واقفاً ..

هنا كان الدخان الأسود يتصاعد امام عيني ...

وتشوشت الرؤية ...وتموجت الصور ...

وعلمت انني ابكي ...
ملطخاً بالدم ...ابكي ..
مفعماً بالأسى ...أبكي ...
شاعراً بالذنب ...أبكي ...
متأملاً جريمتي ...أبكي ...
-ارحمه يرحمك الله ...
-ارحمه يرحمك الله ...
التفت إلى الهتاف ..
ومسحت الدمع الذي غطى وجهي بكمي المتسخ بالدماء ....
فأفعمت رائحة الدماء انفي ...
والتفت إليه وقد عزمت أمري ...لم تكن هناك شفتان ترتعشان..
لم يكن هناك وجه يتقلس الماً ...فقط كتلة حمراء تتوسطهما
عينان جاحظتان ...والجلد المسلوخ يتدلى أعلى الصدر ....
اقتربت منه ..وملت عليه هامساً حتى لا يسمعني جنود الخليفة
:
-استرح ايها الشيخ الباسل ...
ونظرت ناحية الجنود وانا اكمل من بين اسناني :
-للأبد .....
وشهق الشيخ الباسل ..والنصل يخترق قلبه ...
ثم هوى رأسه على صدره ....و

وكان علي ان أكمل مهمتي القذرة ..بعد ان صار الشيخ جثة هامدة ...بلا حراك ..بلا ألم ...

***

بعد أن أنتهيت من سلخ الجلد كاملاً قمت بحشوه تبناً كما أمر الخليفة ...

وتم صلب الجسد المسلوخ ليراه الناس .....

وكان الناس يرددون وهم ينظرون إلى الجسد : الشهيد..الشهيد....

فصار هذا لقباً لهذا الرجل الباسل ..وصار هذا

الأسم علماً على أبنائه من بعده ويعرفون بأبناء

الشهيد ....

أما أنا فلم تزل صورته منذ ذلك اليوم تطاردني

في النوم واليقظة ...

أراه شامخاً مهيباً ملطخاً بالدماء وهو يردد دون كلل :

-كان ذلك في الكتاب مسطورا.....

***

رحم الله الإمام محمد بن أحمد بن سهل بن نصر أبو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي ...

***

حاملت

الزائر

(يحكيه أحمد شكري)

-الاسم ..؟

-أحمد شكري..

-المهنة ؟

-كاتب قصصي..

-وماذا تريد الأن ؟

-طبعاً لدي قصة أريد أن أحكيها لكم..

-وما نوع القصة ..؟

-هلوسة كاتب يعيش وحيداً .. لا يوجد لدي تعبير أقرب من هذا .. ولا تفسير عندي لما مررت به من تجربة إلا أنني جننت
تماماً أو ربما أكون قد ..جننت تماماً...
-لماذا تكرر كلامك ...؟
-لأنني جننت تماماً ...ظننت هذا مفهوماً...
-متى ستبدأ في السرد ..؟
-من الأن ..فقط لو تخرس قليلاً.....
***
كانت ليلة باردة لكن بلا أمطار...
وقفت في الشرفة أتأمل المساحات الشاسعة من الحقول المحيطة بمنزلي الريفي..
لا شيء سوى صوت صرصور الغيط الرتيب ونقيق الضفدع الرائق الذي يبعث على النوم حقيقة..
لكنني نمت بما فيه الكفاية ..لعلي الوحيد الذي لا يحلو له الكتابة إلى على أصوات صراصير
الغيط ونقيق الضفادع ..فقط أنا بانتظار أن تأتي الفكرة..
النداهة .. تباً يا للسخافة .. هذا بسبب تأثير جو الحقول على مخيلتي ..
إذن فلنحاول الابتعاد عن الحقول والصراصير والضفادع

..أغمضت عيناي..
الجو يزداد برودة من حولي ..هناك ندف من الثلج بدأت تلامس أنفي..
ضباب وغابات تكسوها الجليد ..حيوان الرنة يتأملني في فضول..
و..
سأتجمد لو بقيت لحظة أخرى في هذا العالم..
فجأة أضاء مصباح الإلهام في عقلي .. وفتحت عيناي..
" -وجدتها"...
هممت بالدخول وغلق باب الشرفة قبل أن تهرب الفكرة لكنني سرعان ما تجمدت في مكاني...
استدرت في بطء .. عيني تجوب الحقول التي كساها الظلام بكساء من الرهبة والغموض ..كانت هناك بعض الأضواء القادمة من الطريق السريع على بعد عدة كيلومترات لم تزد الأمر إلا رهبة ..لكن عيني كانت مثبتة على شيء ما يتحرك هناك...
شيء له معالم بشرية .. لكنها لا تبدو مألوفة.. لا يبدو من أهل القرية...
و ليس من سكان المريخ حتى لا تذهب بعيداً..
إنه يقترب في تؤدة من منزلي المتواضع ..تباً ..لم أتي ههنا من أجل استقبال الفضوليين ..لقد تركت القاهرة المزدحمة بكل ضوضائها وعوادمها السامة وجئت إلى منزلي الريفي بحثاً عن

فكرة جديدة ..من ثم أعود مظفراً بقصة جيدة تصلح للنشر...
لكن هذا الغريب جاء ليعكر خلوتي ... و...
لقد صار على مسافة قريبة جداً ودخل دائرة الضوء المحيطة بالمنزل ...لكن أي مهرج هذا ؟..
توقف أسفل الشرفة ..ورفع طرفه إلي مبتسماً في ود..
ذكرتني ملابسه الغريبة بمشهد روميو وهو يتودد إلى محبوبته جولييت
أسفل الشرفة ..ممثل مسرحي كان يؤدي أحد الأدوار الشكسبيرية وضل طريقه إلى المسرح .. المشكلة انه لا يوجد مسرح قريب من هنا
والمشكلة كذلك أنني – لو لاحظتم – لا أشبه جولييت لو كان الأحمق
يفكر في ذلك....
لوحت له بكفي قائلاً في سخرية:
-"مرحبا ..السيرك ليس من ههنا"..
انعقد حاجبيه كأنما يفكر في معنى كلامي ... هل هي إهانة أم...
أخيراً صاح بلكنة غريبة لا تصدق:
- "لقد فررت من عالمي ولجأت إليك ..لقد قطعت مساحات شاسعة
من الفيافي والقفار حتى أصل إليك.. "

هرشت رأسي في محاولة لاستيعاب الموقف ... الموضوع ليس موضوع ممثل مسرحي إذن ..هذا المهرج قادم من أجلي...

- "حسناً .. لكن كيف سمحوا لمثلك بالفرار من مستشفى الأمراض العقلية ؟"

صاح بأسلوب شكسبيري راقي !! وهو يلوح بكفه بحركة مسرحية :

" -عفواً أيها السيد ..أنا لا استوعب الكثير من مصطلحات عصركم لكنني - لو سمحت لي - لن أظل واقفاً هنا للأبد ..فليسمح لي السيد بالدخول"...

- " والله !.. أعطني سبب واحد يجعلني أسمح لك بالدخول .. ؟"

هنا وقف في اعتداد وانسدلت حرملته الزرقاء حول كتفية فأضفت عليه هيبة ملوكية..

- " لقد فررت من عالمي وجئتك طالباً العون..."

ثم اكتسى وجهه بحيرة مفاجئة لا أدري سببها وهو يستطرد:

- " أنا هاملت أمير الدنمارك" !

***

كان هاملت يرتجف .. وقطرات المياه تتساقط من شعره المبلل وكنت أنا أحاول جاهداً تجفيف حرملته العجيبة بشتى الطرق أخيراً وضعتها على حبل الغسيل وثبتها جيدا من ثم تركتها لتسقط من فورها....

تباً ..نظرت إليها ملقاة في الشارع ثم نفضت كفي وعدت إليه في براءة...

قلت له محاولاً الاعتذار..

" -لا أجد كلمات مناسبة اعتذر بها عما حدث"..

نظر لي في حيرة وأسى قائلاً:

- " سكب المياه على الزائرين طريقة غريبة في الترحيب" ..

تنحنحت قليلاً في حرج قبل أن أقول:

-"في الحقيقة لم تكن تلك طريقة في الترحيب ..ظننت أنها خدعة ما وأنك - عفواً- تسخر مني... "

قال في عدم فهم وعينه تجوب أركان المنزل:

- " أسخر منك ..! أنا لا أفهم طبيعة تفكيركم..

أخشى أن يكون هذا عائقاً أمام تلبية رغباتي"..

كدت أسأله عن طبيعة رغباته التي دفعته لزيارة كاتب مثلي فتذكرت أنني نسيت الشاي على الموقد فقمت كالملسوع وعدت حاملاً صينية الشاي.. شاي لهاملت أمير الدنمارك !..الحقيقة أن هذا أفضل ما يمكنني تقديمه.. فأنا لا اتخيل هاملت يشرب حلبة مثلاً ..أو كراويا..

رباه ..شيء رهيب هو ذاك الذي يدفع هاملت شخصياً للخروج من عالم شكسبير

محطماً الحاجز بين الواقع والخيال .. رشفت عدة رشفات من

الشاي ناظراً إليه في ترقب..
متى سيبدأ في الكلام ..؟
حتما سيموت بعد أول رشفة وسأجد نفسي في ورطة..
تذوق قليلاً من الشاي ثم نظر لي في قرف وقال:
- " تشربون أشياء غريبة في عالمكم... "
-"إنه يساعد على التركيز"..
شاع في وجهه الارتياح على نحو مفاجئ وقال في حماس:
-"جيد جداً فالموضوع الذي جئتك من أجله يحتاج منك أكبر قدر من التركيز... "
" -سأموت كمداً لو لم أعرف ذلك الموضوع..."
هنا وضع هاملت كوب الشاي على المنضدة أمامه..
ثم قرر أن يفصح:
-"لم يكن خروجي من عالم شكسبير تجربة سهلة .. بل كان تمرداً صريحاًعلى
ذلك الأديب العملاق ومن أحد أشهر شخصياته .. أنا لست هاملت ابن الملك القتيل
بقدر ما أنا ابن شكسبير ذاته...لكنني اتخذت القرار واخترتك من بين سائر الكتاب
لتدون لي قصتي بعيداً عن أغلال شكسبير"...
ازدرت لعابي بصعوبة ..قلت له بجدية:

" -اخترتني أنا ... أنا لست ديكينز حتى تقارن بيني وبين والدك شكسبير"

-"لهذا السبب اخترتك ..أنت كاتب مغمور ..لو سمحت لي أن أقول

لذا لن يتوقع شكسبير وجودي عندك ..لعله الأن يتشاجر مع الكسندر دوماس

متهماً إياه بخطفي أو يجذب لحية ديستوفسكي لعلي أكون مختبئاً تحتها..

لكنه لن يفكر في وجودي هنا أبدا"..

بدأت أعصابي تتوتر ..تخيلت الأخ شكسبير يجوب الشوارع بحثاً عن بطله

الهارب والويل كل الويل لمن يأويه .. انتزعت نفسي من أفكاري السوداء

ونظرت إليه فوجدته يبتسم في ثقة.. قال:

-"أنا واثق أنك ستفعلها"...

قلت كاتما غيظي:

- " ومن أين أتيت بتلك الثقة ؟"

نظر لي ملياً كأنما يستعيد ذكرى وجه ما .. ثم تنهد وقال:

-"أنت تذكرني به دائماً ... هورشيو صديقي الصدوق ..مصدر الحكمة في روايتي وهو كذلك راويها ..فلم نبتعد كثيراً إذن".

حاولت هضم كوني أشبه المدعو هورشيو لكنني لم استسغ ذلك .. كلامه يبدو مدحاً من جهة..

وربما كان خدعة لتوريطي في الأمر من جهة أخرى وحينما يظهر شكسبير أتحول لكبش فداء..

" -اسمع أيها الأمير الشاب .. بما أنني أذكرك بصديقك هورشيو الحكيم فعليك

أن تستمع لصوت الحكمة في كلامي ..ليس من الحكمة أبداً تحدي شكسبير

متوهمين أننا قادرين على صياغة قصته بشكل أفضل ..ثم ما الداعي لذلك أصلاً ؟

ما لذي لا يعجبك في قصتك ؟"

تناول هاملت كوب الشاي وأفرغ ما بقى منه في حلقه دفعة واحدة كما يفعل

السكارى في الحانات محاولين نسيان هموم الواقع الأليم..

ثم نظر إلي بعينين حمراوين كالدم ..وأجاب:

- " بل قل ما الذي يعجبني ..عمي الذي قتل والدي ..أم أمي التي تزوجت

عمي قاتل والدي .. أم حبيبتي أوفيليا التي ماتت بسببي.. أم"...

وتوقف قليلاً وهو يتحاشى نظراتي وكأنما يقول لي :أنت تعرف الباقي..

قلت له مكملاً عبارته المبتورة:

-"أم.... موتك في نهاية القصة ...اليس كذلك ..؟"

هز رأسه في بطء وأسى فابتسمت أنا متخيلاً مدى لغز الحياة ومدى

تعلقنا بها حتى لو كنت مجرد شخصية خيالية خرجت من إطارها الأدبي

لكي تطالب بحقها في البقاء..

قل هذا يا صديقي ولا تصدع رأسي بحديثك عن والدك القتيل وعمك

قاتل أبيك وأمك الخائنة وحبيبتك التي ماتت في غمرة انتقامك...

- " تريد كما نقول نحن ..فيلم عربي"..

" -لا افهم ما تقصده ..المهم أنني أريد قصة بعيدة كل البعد عن المأسي والكروب..والدسائس والاغتيالات"...

عقدت ساعدي أمام صدري ونظرت إليه في ثبات..

-"لن يكون هذا سهلاً .. سوف أساعدك فقط ليكن الأمر سراً بيننا ولا تخبر أحداً بعلاقتي بالقصة... "

- " حتى لو أخبرت أحداً ..قلت لك أنت كاتب مغمووووور... "

قلت وانا اتحاشى لكمه في أنفه:

- " سمعت هذا من قبل .. وكلمة مغمور تلك ستفت في عضدي ولن

أخرج لك النص الأدبي الذي تريده ..واضح..."
لوح لي بكفه قائلاً:
" -واضح ..فقط ..أعطيني النص البديل أرجوك"..
جذبت نفس عميق وأغمضت عيناي في محاولة للتركيز..
يريد قصة بعيدة كل البعد عن المأسي والكروب والدسائس والاغتيالات و..
هنا فتحت عيناي على اتساعهما صائحاً في انتصار:
-"وجدتها ... خذ عندك..... "
***

حاملت

(بقلم : أ . ش)
كان يجوب ردهات القصر ويسمع همس الحراس لكنه لا يريد أن يصدق..
ولا يريد أن يصل ما يتهامسون به إلى الأمير هاملت ... أخيراً يقف هورشيو
واضعاً كفيه في خاصرته ويصيح بلهجة حازمة:
" -من يصدق تلك الخرافات فلا مكان له في قصر الملك"...
تجمد الحراس الثلاثة في أماكنهم فلم يتوقع أحدهم أن هورشيو الصديق المخلص لهاملت يعرف سر تهامسهم...

اقترب الفارس الأول من أذن هورشيو وبدأ يسكب مالديه:

-"لقد شاهدناه جميعاً .. شبح الملك الفقيد يجوب ردهات القصر ليلاً ويمكننا ان نقسم على ذلك"..

-"رأيتم وهم.. وهم تخيلته عقولكم الكليلة والمليئة بخرافات العجائز... "

اقترب الفارس الثاني من الأذن الأخرى لهورشيو وقال بدوره:

-"هل يمكن أن يرى ثلاثتنا نفس الوهم ...؟"

-"نعم ..حينما يشربون نفس نوع النبيذ الردئ... "

جاء الثالث ليحشر نفسه بين زميليه هامساً بدوره:

-"حتى لو لم نتعاطى يومها أي خمور ..؟"

دفع هورشيو ثلاثتهم بعيداً وقد قرر إنهاء النقاش ً:

" -انتباه"....

وقف الحراس الثلاثة مشدودي الأجسام وقد أنستهم صيحة هورشيو العسكرية الصارمة كل ما شاهدوه ... من قال أنهم شاهدوا أشباح أصلاً ...؟

جال بينهم هورشيو وهو يهمس فيهم بنبرة صارمة:

-"لا أريد ان تتسرب تلك الخرافات إلى أي مخلوق خصوصاً الأمير هاملت

فإنه مازال يعاني من فقد والده .. ولا نريد ان نزيد همومه .. مفهوم ...؟"

صاح ثلاثتهم في صوت واحد:

" -مفهوم"..

" -هورشيو"..

التفت الأخيرتجاه مصدر الصيحة فتهلل وجهه مرحباً بالأمير هاملت وهو يرمق الحرس بنظرات جانبية متوعدة إن نطق

أحدهم حرفاً فسيقطع لسانه....

تصافح الصديقان وبدأ هورشيو يسأل كالمعتاد عن حال الأمير ومزاجه

اليوم فتجهم وجه الأخير قائلاً:

-"أنا حزين جداً هذا الصباح..."

-"ما الذي يعكر صفو الأمير..."

-"هناك إشاعات تتردد بين العامة في الأزقة ..أن شبح والدي الفقيد يجوب ردهات القصر ليلاً"!...

التفت هورشيو في حدة ناحية الحراس الثلاثة على حين تشاغل ثلاثتهم بفحص أسلحتهم في اهتمام متحاشين النظر في وجه هورشيو....

" -الخنازير"!..

- "ماذا تقول ..؟"!

التفت هورشيو إلى هاملت مستدركاً:

" -عفواً سموك.. أقصد الخنازير الذين يشيعون مثل تلك الخرافات بين الناس.."

هنا جذبه هاملت من ساعده ليبتعد به عن الحراس وخلف أحد الأعمدة

الرخامية الضخمة تكلم الأخير:

-"أريد أن أراه"..

-"من ؟؟؟؟"

همس هاملت من بين أسنانه:

-"شبح والدي يا أحمق"..

" -هل صدقتكم تلك الخراف .....؟"

قاطعه هاملت في حسم:

" -الليلة أريدك معي لنراه سوياً.... "

شحب وجه هورشيو وحاول ان يبدو متماسكاً:

-"تريدني معك ؟" ...

عقد هاملت حاجبية وقال في تصميم:

" -نعم ...والليلة..... "

-"وهل لوجودي معك سبب ملح ..؟"

هنا لاحظ هورشيو الاضطراب على هاملت وبدأت شفتاه ترتعشان :

-"لقد كان أبي مخيفاً بما يكفي وهو حي ..فكيف به وهو ميت

"....

-"أه ..فهمت...."

قالها هورشيو وازدرد لعابه وشد قامته في اعتداد مستطرداً:

" -سيكون هورشيو المخلص والشجاع إلى جانبك ..فقط ليثبت لك أن

كل ما يقال عن شبح والدكم المبجل محض خرافة.... "

هنا خرج طائر من بين السواري وهو يخفق بجناحيه في قوة فقفز هورشيو في ذعر محتضناً هاملت..نظر الأخير إليه ملياً ثم همس في أذنه وهو مازال محتضنه:

" -اعتقد أننا سنصطحب معنا الحراس" !

- " قرار حكيم ..سموك"

***

بخطوات جنائزية تقدم الموكب المكون من الأمير هاملت وصديقه هورشيو ومعهم الحراس الثلاثة سالفي الذكر..

كان الموكب يتحرك ليلاً بين سواري القصر حسب الموعد...

وبدا لهم الوضع هادئاً لا يوحي بأن ذلك القصر المرعب أصلاً يحتاج لشبح يجوبه ليلاً ليزيد الأمر سوءاً..

بعد قليل توقف هورشيو وقال في سأم:

-"ألم أقل لك ..لايوجد أي أشباح... "

وكزه هاملت كي يخرس قبل أن يقول في خفوت:

-"صه ..الأشباح تضايقها الأصوات العالية"..

نظر له هورشيو نظرة من يسمع الأراجيف:

" -من قال لك هذا ...؟"

" -أمي حدثتني بهذا وأنا صغير" ..

أزدرد هورشيو لعابه قائلاً:

" -أدام الله الملكة"..

طبعا لم يحب هورشيو أن يصارح هاملت برأيه في كلام جلالة الملكة

..أن هذه مجرد خزعبلات يحكونها للأطفال ليلاً كي يناموا سريعاً والنتيجة هي العكس بالطبع...

هنا بدأ يظهر الضباب..

***

- " ضباب ..هذه فكرة تقليدية سخيفة"..
- " لابد من ضباب في الموضوع"..
- " لكن"...
- " ششششت"..

***

هنا التفت هاملت وصديقه فوجدا الحراس قد اختفوا .. الجبناء..
لم يتحملوا مقدمات ظهور الشبح فماذا لو شاهدوه ..هم بالفعل شاهدوه من قبل وليس لديهم الاستعداد لتكرار المأساة....
الضباب يتزايد ..وبدأ هورشيو يسعل ..كح ..كح ... نظر له هاملت مستنكراً:
" -هذا ضباب يا أبله وليس دخان شكمان... "
تنحنح هورشيو في حرج قائلاً:
" -حقاً .. ظننت أن مصدره سيارة شبح السيد الوالد وانه يبحث عن مكان يصلح للوقوف و"..
- " سيارة من يا أبله ..قصتنا في عصر لم تخترع فيه السيارات بعد.."
" -والله ؟" !
وكتم هورشيو خواطره وهو ينتظر الظهور المرتقب...
وكتم هاملت أنفاسه في محاولة لكبح جماح توتره وفي نفس الوقت حتى لا يستنشق ابخرة الضباب والتي تبدو بالفعل اقرب لرائحة الـ ....
هنا أدرك أحدهم أنه كان ساذجاً..
من قال أن الأشباح محض خرافة لا وجود لها ....؟
***

كان ضخماً مهيباً مدثراً في عباءته وقد اختفت ملامحه وراء خوذة فولاذية يتحرك نصفها السفلي المحيط بالفك فيخرج من بين الفتحات البخار الأبيض. .

كان هورشيو يشعر أن ساقيه قد تحولتا إلى ورقتي خس ..حاول أن يعتمد على

أحد السواري ..حاول ان يهرب ..لكن ..كيف يفر المرء على ورقتي خس ..؟

أما هاملت فقد هابه الأمر جداً .. وخر راكعاً على إحدى ركبتيه في تبجيل

مسرحي عتيد:

- " سمو الملك الراحل"....

تحرك الفك السفلي وخرج المزيد من البخار ..ومعه خرجت الكلمات

القادمة من أعماق بئر أصيبت مياهه بالصدأ:

" -هاملت ...انتظرت مجيئك طويلاً" - ثم سعل بفعل البخار طبعاً – "هاملت أنت أبني الوحيد"..

-"لا أظن أنك انتظرتني طويلاً لتفجعني بتلك الحقيقة المرة... "

أكمل السيد شبح في غير اكتراث:

-"أنت ابني الوحيد ..وعليك أن تنتقم لي...."

-"انتقم لك ..من من ..؟ ليس من الكاتب الوغد فليس هذا وقته..."

" -بل ممن قتل والدك غدراً.... "

وأسقط في يد هاملت..

***

"-لكن ما الجديد في كل ما سبق ..؟ إن عقدة قصتي تكمن في مقتل والدي" ..

- " لا ..عقدة قصتك التي بنى عليها شكسبير الأحداث أهون من ذلك بكثير"..

- " كيف ..؟"

- " سأخبرك فقط لو تخرس قليلاً" ..

***

فجأة أضاء مصباح في عقل هورشيو....

كان قد بدأ الخوف يتلاشى وشيء من التعود بدأ يسرى إلى روحه حتى الأشباح يمكننا أن نتعود عليها .. كان يهرش مؤخرة رأسه وهو يثبت عينيه على الحاج شبح ...ويتمتم:

" -هناك خطأ ما..."

وهاملت الحائر دائماً مازال يصغي:

- "من كان أخاً بالأمس يجلس اليوم على عرشي ويرتدي عباءتي ويزين رأسه بتاجي ..ويده ملطخة بدمي"..

شبك هاملت كفيه أمام صدره ورسم على ملامحه اللوعة والحيرة الممزوجة بالصدمة ..كل ذلك في حركة واحدة.. !

ثم وضع كفه على جبهته وصاح في لوعة مسرحية محببة:

-عمي كلوديوس ! ياربي!!..

" -عمى الدبب ! ليس عمك وليس أخي ...لابد أن تنتقم لي وإلا فالويل لك من عذاب الضمير.."

غطى هاملت وجهه بكفه قائلاً في إحباط:

" -ألا توجد وسيلة أخرى...؟"

تكلم الشبح بصوت هادر:

" -لابد أن تنتقم لأبيك.. دم أبيك في رقبتك... "

تحسس هاملت عنقه وبصعوبة حاول أن يزدرد لعاب لاوجود له:

-"ألا يمكن أن نسامحه ونأمل في غد أفضل ...؟"

" -دم أبيك في رقبتك...."

- " ودمي أنا سيكون في رقبة من ....؟"

هنا صاح هورشيو:

- " يا صاحب الجلالة"..

التفت هاملت ومعه شبح السيد الوالد إلى هورشيو الذي شاعت على وجهه ابتسامة ماكرة وهو يقترب من الشبح في ثقة..

- " لقد اشتقنا لرؤية وجه جلالتك"..

" -لا تقترب"...

هكذا هدر صوت الشبح منذراً ..لكن هورشيو كان مصمماً...

" -سأفعل... "

" -لا تقترب..."

" -سأفعل".....

وفي اللحظة التالية كان هورشيو ينزع الخوذة عن رأس الشبح... وشهق هاملت .. كان الشبح أحد الحراس الثلاثة الذين اختفوا في ظروف غامضة..

ونظر هورشيو إلى هاملت في انتصار على حين

تكور الحارس - الشبح سابقاً - عند قدمي هاملت متوسلاً...

- "ما الذي دفعك لترتكب الأثم في حق سيدك ؟"

رفع الحارس طرفه إلى هاملت في نظرة استجداء وقال:

" -أعداء المملكة كثيرون يا مولاي ويدفعون بسخاء ..يتخلصون من الملك كلوديوس عن طريقك من ثم يجدون سببا مقنعاً في غزو البلاد انتقاماً ممن قتل الملك الطيب كلوديوس...."

ثم صرخ فجأة:

- "الرحمة يا مولاي.. "

أنتفض هاملت و هوروشيو لصرخته المفاجئة ..ثم تمالك هاملت أعصابه وصاح بالحارس في غل:

" -أعطني سبب واحد لكي أرحمك يا أبله.... "

ثم التفت إلى هورشيو وسأله:

-"كيف عرفت ؟"

ركل هورشيو الحارس بطرف حذائه وهو يقول:

-"أنا لا أومن بالأشباح يا صديقي كما تعلم وما كان لإيماني أن يتزعزع لمجرد رؤية ممثل فاشل وخائن...."

نظر هاملت إلى الأفق وشعر بارتياح وانشراح في صدره .. لقد تغير واقعه الكئيب ..الأن يمكنه أن يتزوج أوفيليا بدلاً من تضييع الوقت

في جعلها تجن ..و يمكنه الوقوف بجانب عمه كلوديوس ضد أعداء المملكة .. كانت أيام مجيدة تنتظره..

وكان الواجب يحتم عليه أن يشكر أحدهم...

***

عودة إلى الزائر

(يحكيه : أحمد شكري)

رشفت أخر رشفة من كوب الشاي الخامس أو السادس لم أعد أذكر تقريباً.. ووضعت الكوب على المنضدة التي أمامي...

لقد انتهيت.....

كان الأخ هاملت قد تغير حاله وكأن لمسة سحرية قد حولته من شخص حائر مكتئب إلى شاب عادي مثل أي شاب يطمح في مستقبل واعد ... بمعنى أصح لم يعد هاملت الذي نعرفه

-"أنت رائع"...

- " الله يكرم أصلك"..

سألني في فضول:

-"كيف توصلت لحل تلك العقدة التي عقدها شكسبير منذ قرون .."

شبكت أصابعي خلف رأسي وقلت في استرخاء:

" -القصة كلها مبنية على رواية شبح .. ولا وجود لشئ كهذا.. بعض الحمقى عندنا يصدق مثل هذا بسبب فساد حياتنا الثقافية عبر القرون.. وحينما تتاح فرصة كهذه لكاتب ساخط مثلي ..فماذا تتوقع أن يحدث ؟"

-"أن تنهار فكرة هاملت من جذورها ....وعن عمد... " ..

قالها هاملت مبتسماً في إشراق ..ثم أطرق إلى الأرض مستطرداً:

-"كنت أعلم أنك هورشيو منذ البداية"..

نظرت إليه في حدة فقال مستدركاً:

-"في القصة طبعاً"...

غمغمت في عدم اكتراث:

- "ربما".....

ثم إنه وجه لي السؤال التالي والذي كنت أنتظره:

-"ماذا تقترح بخصوص اسم قصتي المعدلة ...؟"

قلت وانا أغوص اكثر في مقعدي:

- " حاملت... "

- "هام- ..هام- ..."

طبعاً حاول عبثاً نطق الاسم لكنني أرحته من المعاناة:

- " لا تحاول نطق حرف الحاء .. فلن تستطيع ..لابد أن تكون عربياً أو على الأقل عبرانيا"...

قال في دهشة:

- " ولماذا اخترت هذا الاسم الذي يصعب على أمثالي نطقه ؟"

- " لهذا السبب بالتحديد"....

قلتها وأنا أغمض عيناي مبتسماً ..وسمعته يقول شيئاً ما:

- " أنا جائع هل لديك شيء يؤكل ..؟"

- " لدي .. لكن هضمه لن يكون أسهل من نطق حرف الحاء"..

***

كانت ليلة باردة لكن بلا أمطار....

لكنها كانت تمطر أشياء أخرى فيما يبدو...

عشرات الشخصيات التي خرجت لتوها من عالم لا ينتمي إلى عالمنا المعاصر كانوا يتقدمون وسط الحقول في تؤده ويتجهون مباشرة إلى منزلي المتواضع ... كانت شخصيات متباينة ..رجال ونساء شباب وشيوخ ..حفل تنكري..

هذا هو ما خطر لي وانا ألوح لهم بكفي محيياً من الشرفة..

طبعاً كان هناك وجه مألوف لي ولكم بين كل هؤلاء...

إنه هاملت سابقاً و حاملت حالياً كان يبتسم لي ويهز رأسه في وقار ...وكان يشير إلي كأنه يقدمني إليهم...

هنا شاعت البشرى في الوجوه وتهللت أساريرهم
بقليل من الذكاء عرفت من هؤلاء ... كما لكم أن تخمنوا..
كان حاملت يتأبط ذراع فتاة حالمة ...طبعاً لم تكن إلا أوفيليا...
لقد صارا زوجين واعدين ...ذكروني أن أعدل أسم أوفيليا
أيضاً ربما اجعله ألفت أو فوقية .. المهم تعالوا نتعرف على الباقين
هذا الشيخ العجوز يمكنك أن تخمن بسهولة أنه الملك لير..
وذلك الرجل ذو التاج وزوجته ذات النظرة الباردة الخالية
من الحياة تقريباً لم يكونا سوى ماكبث وحرمه..
أما زوج العصافير هؤلاء فهم روميو وجولييت...
هذا العملاق الأسود لا يمكن أن يكون البواب طبعاً ..إنه عطيل
لكن أين ديدمونة ..؟ أخشى أن يكون قد قتلها وجاء هنا ليختبئ
عندي..
لكن لا ...ها هي تتقدم على استحياء ..حقيقة لا أعرف ما علاقة
تلك
العصفورة الرقيقة بذلك البلدوزر لكنه خيال شكسبير المريض..!!
وقفت أخمن حتى اعيتني الذاكرة .. كل هؤلاء تسربوا من بين يدي
صانعهم وجاءوا هنا كي يحذو حذو حاملت..
رباه .. يبدو أن هناك المزيد من العمل المضني ينتظرني..

الحصاد

(أحداث هذه القصة لم تحدث بعد ولا يتمنى لها الكاتب
أن تحدث في المستقبل لكنها مجرد صيحة نذير لكل
قلة و زير .)

***

مصر التي في خاطري وفي فمي ...

***

يااااه ...لقد مرت سنون طوال وانطوى العمر
ومازلت تتذكر يا تامر عندما كنت شاباً وطنياً
متحمساً ..واليوم يزحف الشيب على ما تبقى من
شعر رأسك وتغزو التجاعيد وجهك المنهك ...
وقفت أتأمل ملامحي في المرآة بعد أن ارتديت

الجلباب والعباءة أستعداداً لصلاة الفجر حينما سرحت
بخواطري ودق ناقوس الذكريات في عقلي ..
وتذكرت ...
زحام شديد ..هياج ..صراخ ..دخان كثيف ..سعال ..
أزياء سوداء وهراوات ...و..
تباً ..ستقام صلاة الفجر وأنا هنا أسترجع الذكريات
..تعوذت من الشيطان الرجيم وغادرت حجرة نومي
ماراً بالردهة ..هنا لمحت الأضواء المنبعثة من حجرة
أبني البكر سيف الدين تحديدامن أسفل الباب ..
ولدي ابن الخامسة عشرعاكف على التلفاز كعهدي به ..
هنا قررت أن أتدخل
..لابد أن اتدخل ..لو سمحتم دعوني أتدخل ...
دفعت الباب في حدة وصحت :
سيف الدين ..أنت مازلت مستيقظ حتى الأن ..
رأيته ينتفض واقفاً كالملسوع قبل أن يهتف في انزعاج :
أبي ..كيف تقتحم غرفتي هكذا دون أذن ..
حاولت أن استشف ما يشاهده على التلفاز في مثل هذا الوقت
الولد في سن خطرة ولابد من متابعته متابعة جيدة ..
قلت له في حرج :
لا تؤاخذني يا بني .. كنت فقط أطمئن عليك ..

لو سمحت أخرج واطرق الباب أولاً ..
طبعاً غادرت ووجدتني واقفاً على باب الغرفة أطرقها
في أدب جم قائلاً بصوت خفيض :
سيف ....
جائني صوته من وراء الباب متضجراً :
من ..؟
أنا أبوك ..كنت عندك منذ قليل ...
نعم ..نعم .. تذكرتك ..ماذا تريد ..؟
تنحنحت في حرج قائلاً :
لو سمحت تترك لي جهاز التلفاز حتى يتسنى لي

متابعة برنامجي الديني المفضل بعد صلاة الفجر ..
جاء صوته حاداً هذه المرة :
لكنني اتابع الان فيلم sex..على قناة (اسفخس موفيز)
غلى الدم في عروقي قبل أن اتمالك نفسي .. لابد أن
أكون هادئاً تلك الأمور لا تحل بالثورة ..قلت :
إنه نفس الفيلم الذي كنت تشاهده بالأمس..أليس ذلك
مملاً...؟
هذه هي الإعادة يا والدي ..ولقد فاتتني منه بعض المشاهد
بالأمس تحتاج إلى تركيز لأنها مقررة علي في مادة الثقافة

الجنسية ...
هنا قررت أن أقوم بواجبي تجاهه كأب .. قلت له في ضراعة :
يا بني ألم أسمح لك بأخذ درس خصوصي في تلك المادة عند الأستاذة سونه ودفعت لك مبلغ وقدره ..
قال في ملل :
هذا واجب عليك فلا تمن علي ..
أنا لا أمن عليك .. فقط أريد أن أفهم ما الفارق بين مايعرض في هذا الفيلم وما تدرسه لك أستاذة سونه ..لقد سمعت أنها مدرسة (جامدة جداً)
يا والدي لا وجه للمقارنة بين الأساتذة عندنا وبين الدكاترة الموجودون في الفيلم ..
هنا ضممت عبائتي على صدري قبل أن أقول في يأس :
كما تشاء .. على العموم أنا ذاهب لصلاة الفجر هل تحب أن تأتي معي ..؟
هنا فوجئت بالباب يفتح ويطل علي وجه سيف الدين مشرقاَ وكأن نور الإيمان قد شع من كل خلجة من خلجاته ..قلت له في دهشة :
هل قررت أن تأتي معي للصلاة ..؟!
أبتسم قائلاً :
لم يعد هذا ممكناً يا والدي العزيز ..كنت أود أن أجعلها لك مفاجأة

لكن على العموم سأخبرك الأن ..لقد ذهبت أمس إلى السجل المدني
وغيرت ملتي ...
وفرد ذراعيه على اتساعهما صائحاً في سعادة غامرة :
لقد صرت بهائياً .....
هنا صمت الزغاريد أذني والتفت لأجد زوجتي هناء قد استيقظت وهي متهللة الأسارير وحولها بقية الأبناء سارة وعز الدين وهم يتواثبون من حولها مهللين :
أخونا بقى بهائي ..أخونا بقى بهائي ....
وأمام عيني أحتضنت زوجتي العزيزة ولدها البكر وهي تغمر وجهه بالقبلات الحارة ثم حانت منها التفاتة إلي وهي ماتزال تحتضن أبننا قائلة في شمم :
لقد صار ولدي بهائياً ..مثل أمه ...
وعادت تقبله في حرارة ..أما أنا فكنت ابتسم لهم مجاملاً قبل أن أعلن لهم أنني تاخرت على الصلاة وتركتهم يحتفلون بتلك اللحظة
حتى لا يكون وجودي منغصاً عليهم فرحتهم ..
***
غادرت الشقة واغلقت الباب جيداً قبل أن تصطدم عيني بذلك المشهد عند الشقة المقابلة ..شقة جاري الاستاذ وائل

كان هناك ضابط شرطة يقف عاقداً ساعديه امام صدره وملامحه تكتسي بالصرامة .. توترت أعصابي وشعرت بان مصيبة ما في الطريق ... أقتربت من الضابط وعرفته بنفسي فصافحني في ادب ..سألته في رقة عن سبب وجوده فقال في أهتمام :

جاءنا بلاغ ضد جارك السيد وائل من ولده حسام الدين أنه اهانه امام صديقته فجئنا للقبض عليه ...

وقبل أن ابدي أي رد فعل ..رأيت اثنين من رجال الشرطة يقتادون جاري السيد وائل خارج شقته وهو يولول :

لم اقصد والله .. هو لم يخبرني انها صديقته .. كنت اظنها محصل الكهرباء ...

نظر له الضابط الواقف بجانبي نظرة صارمة قائلاً :

من حقك ألتزام الصمت وسنوكل لك محامي للدفاع عنك .. خذوه ...

أخذ الأستاذ وائل يصرخ ويتوسل وينادي على ولده حسام الدين ..فخرج الأخير متابطاً ذراع فتاة حسناء وهو يحدج والده بنظرة باردة وتقدم الضابط منهم وهو يقول في احترام :

ناسف على الإزعاج تأكد أن هذا لن يحدث ثانية ...

كان الأستاذ وائل لا يكف عن الولولة عندما مر بجانبي ورجال الشرطة يقتادونه فالتفت إلي ولمحت نظرة ملتاعة

في عينيه كانما يقول لي ..أفعل شيئاً أرجوك ...
تامر ... مالذي جنيناه ليصبح حالنا هكذا ...
حاولت البحث عن رد لكننى لمحت إشارة ضوئية تنبعث من هاتفي المحمول لم يعد هناك أذان للصلاة أو الإقامة فقط إشارات ضوئية منعاً للإزعاج ..
نظرت إلى وائل قائلاً بسرعة :
لا مؤاخذةً يا وائل ..أنها إشارة إقامة الصلاة ..كنت أود أن اساعدك .. لكنك وغد همجي ومازلت مصر على الحياة في الماضي تركب الجمال والخيل والحمير ...لابد أن ترحل ..هذا هو الحل الوحيد من اجل سعادة أبنائك ...
كانت سيارة الشرطة تثير الاضواء في كل مكان حينما قذفوا في مقعدها الخلفي جاري العزيز وائل وانطلقوا.. لا ابواق فقط الأضواء حتى لا يزعجوا أحد ..
وتوجهت أنا في خطوات واثقة من المسجد القريب من بيتي ..واخرجت
الهوية الخاصة بالمسجد وناولتها لرجل الأمن فنظر فيها متفحصاً ليتأكد اني مقيد في هذا المسجد ثم سمح لي بالدخول ..
صحيح أنه يفعل هذا خمس مرات في اليوم ..لكنه مسكين ذاكرته لم تعد تحتمل ... صحيح أننا خمسة شيوخ فقط نصلي في هذا المسجد..

ولكن هذا عدد ضخم مقارنة بالمساجد الأخرى ...
لقد عشنا أوقات عصيبة وضحينا بالغالي والنفيس حتى نحيا ذلك اليوم ... ولن نسمح بالعودة إلى الوراء ....
***

الحلم

....من ظلمة اليأس تشرق شمس الأمل ..ومن حلم إلى حلم ..تتبدى معالم الطريق

***

"حينما يتاح لنا الوقت كي نتخذ إجراءات بوليسية خاصة ..حينئذ سنثير اضطرابات تهكمية

بين الشعب أو نغريه بإظهار السخط المعطل وهذا سيحدث بمساعدة الخطباء البلغاء"

البروتوكول الثامن عشر

من بروتوكولات حكماء صهيون

***

العام : ٢٠٠٨

مازلت أذكر الوجه الأسمر صاحب العيون الذكية الذي زارني يوماً طالباً

البركة ...أنا لست البابا ..فالبابا رجل يسيطرعلى دولة ..وأنا رجل يحكم العالم بأسره.....

أبتسم في ود ..كانت له عينان بريئتان صافيتان تشعرانك بالأمل وبدأ يتكلم:

-الأن أنا صفحة بيضاء أمامك...

بادلته الأبتسام وقلت وأنا أقلب فنجان القهوة أمامي:
-لا يوجد شخص معنا صفحته بيضاء كل ماهنالك اننا سنقلب الصفحة ونكتب في صفحة جديدة ومن أول السطر...
ورشفت رشفة من فنجان القهوة قبل أن أستطرد:
-العالم كله يحتاج صفحة جديدة وبداية جديدة ... لقد جربنا الحرب المباشرة وكان ذلك مكلف جداً أقنعنا البعض أنهم
هم مقدمة الملاحم ونزول المخلص لكن يبدو أن الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك ... وجه جديد وأسلوب أخر..
كان يستمع إلي بتركيز شديد ..لقد احببت هذا الفتى حقاً وسيحبه أعدائنا كذلك ... كنت اتابع مسترسلاً:
-أنت أسمر وتشترك أصولك العقائدية مع عقائد أعدائنا..
سيعجب ذلك أعدائنا والمتشككين منهم سيقتنع عندما نشن حرباً عليك بسبب أصولك ...وعندما تصل ستبدأ رحلة المسكنات والمطمئنات ..أنت فتى رائع ولك كاريزما وستخلب الألباب وسينسى الأعداء جرائم العهد السابق وستغلق التوابيت على جثث القتلى و لن تصير دولتنا أمة مكروهة بعد اليوم..
بل ستبدو صديقاً مخلصاً لأعدائنا يقف من بعيد ويلقي بالنصائح...
قال في صبر:
-دولتنا لا تستغني عن الحروب فتجارة السلاح جزء أساسي من أقتصادنا...

ياللشباب المتعجل ..نظرت إلى عينيه الصافيتين وقلت في إنهاك:
-الحروب لن تتوقف يابني مادمنا سادة العالم .. فقط سنقوم بعمل تغيير للاعبين ... وستجلس دولتنا على دكة الأحتياط ...المعركة القادمة لن تكون بين دولة وجارتها ..بل ستكون بين الأخ وأخيه ..الأب وبنيه..
-الفتنة..
قالها في تشكك.. فقلت بصوت كالفحيح:
-أو الثورة ...وجهان لعملة واحدة...
***
"إن الثورة ليست أكثر من نباح كلب على فيل"
البروتوكول التاسع عشر...
***
تنحنح الفتى الأسمر قليلاً قبل أن يقول في أدب:
-هذا مخطط شيطاني...
ضحكت حتى انتابتني نوبة من السعال ..ولما هدأت قلت بعينين حمراوين:
-لاتنسى أن البعض ينظر إلى العين الأحادية التي في الدولار على أنها عين الشيطان ذاته ويزعم اننا نستمد منه العون..
و نظرت إلى الأفق في شرود مكملاً:
-لا أحد يعرف الحقيقة وحتى من عرف ..لن يصدق أنه عرف

وسيظل يبحث عن الحقيقة...

-لن تصمد حكومات أعدائناً ..وسنجد انفسنا أمام عالم جديد .. لكن هناك خطر ...أصحاب الأيديولوجيات الدينية المتشددة.....

وصمت منتظراً فقلت له في لامبالاة:

-أنهم مخلب القط لنا دائماً ..تصور أن بعضهم يحفظ كتاب البروتوكولات المزعوم عن ظهر قلب ويمشي على خطاه ...هؤلاء معروفون ... وقليليون بالنسبة للسواد الأعظم ..والسواد الأعظم يسهل سحبه من أمعائه ..وغمسه في السياسة..

***

"استخدمنا الصحافة والخطابة العامة وكتب التاريخ الممحصة بمهارة وأوحينا إليهم بفكرة أن القتيل السياسي شهيد"

البروتوكول التاسع عشر...

***

كنت أتكلم والشاب الذكي يستمع:

-ستصير الحرية كلمة مقدسة عند الشعب وفي سبيلها سيضحون بأرواحهم وسيجعلهم هذا في حرب دائمة مع الأيديولوجيون وينقسم الشعب على نفسه قسم يقدس الحرية وقسم يقدس أيديولوجياته الدينية وقسم أخر سنخصصه للأقليات من

إيديولوجيات دينية أخرى ...ستسيل دماء كثيرة
ولن يفهم أحد لماذا قتل ..وفيم قتل...
وازدرت لعابي قائلاً:
-إنها إرادة الرب لا محالة ...هو المهندس الأعظم المدبر لكل
المؤامرات قلتها ثم نظرت إلى موضع قدمي علامة على أن اللقاء
أنتهى ..هب الشاب واقفاً وأصلح من هندامه قبل أن يقول في
احترام مودعاً:
-تشرفت بلقائك أيها الأستاذ الكبير وأمل أن أكون عند حسن
ظنكم.
قلت له دون أن أرفع بصري:
-الكل ترس في ألة المهندس العملاقة ... ولا يملك خيار الفشل..
***
انتفضت من على الفراش كالملسوع وأنا اشهق في ذعر وجلست

أسعل قليلاً حتى كدت ألفظ انفاسي الأخيرة ..تباً أنه كابوس
أخر من كوابيسي المزعجة ... كانت زوجتي العتيدة قد استيقظت
كالعادة وبدأت تتسائل بصوت لم يستيقظ بعد:
-كابوس أخر ...أياك أن تقول عن الماسونية....
-لكنه مختلف هذه المرة ... حلمت أنني واحداً منهم تصوري هذا
وابتلعت ريقي في صعوبة مستطرداً:

-كنت أتمنى لو أكملت الحلم فقط لأعرف السؤال الذي حيرني لسنوات...

قالت بصوت واهن أقرب للهمهمة:

-أي سؤال ..؟

قلت في حيرة:

-المهندس الأعظم ..كان هندسة القاهرة أم عين شمس ؟؟؟؟

***

العام : ٢٠١١

لم تعد الكوابيس المزعجة تؤرقني في الأونة الأخيرة...

والسبب أن كوابيسي صارت حقيقة انغمست فيها وانغمس فيها العالم حتى أذنيه ...فقط صارت أحلامي متعلقة بعالم أخر يعم فيه السلام والرخاء الجميع والناس يسيرون في الطرقات أمنين وتعلو وجوههم البسمة المطمئنة على غد أفضل ...وكالعادة استيقظ مفزوعاً غارقاً في العرق وأحاول أن أملأ رئتي بالهواء النقي فقط لأكتشف أنني عدت بكل أسف إلى واقعي الأليم....

أتامل زوجتي الغافية إلى جواري ... لم تعد تستيقظ كالعادة وتربت عاتقي في حنو لعله الملل ..أو لعلها تحسدني على كوابيسي المتعلقة بعالم أخر .. عالم أفضل يعم فيه السلام والرخاء الجميع ..والناس يسيرون في الطرقات أمنين وتعلوا وجوههم البسمة المطمئنة على غد أفضل....

أقف في الشرفة تداعب نسمات الليل وجهي المرهق وبين حين وأخر تدوي أصوات طلقات نارية من مكان قريب ... لقد صار هذا أمراً روتينياً ومملاً ..أحدهم يتخلص من أحدهم .. لقد صارت أذني حساسة تستطيع التمييز بين الطلقات الصوت والطلقات الحية ... خبرة عدة أيام قضيتها في الشوارع مع اللجان الشعبية....

هل هذه عبرات تلك التي تبلل وجنتاي أم أنه الندى ؟... لم أعد أعرف...فقط أنا أعرف يقيناً أنني نمت يوماً في شقتي في القاهرة واستيقظت لأجد نفسي في الجحيم...

وصرخ صارخ بداخلي ....كيف حدث هذا .... ومتى بدأ ...؟ متى بدأ .....؟

***

-السلام عليكم...

***

أذكر جيداً اليوم الذي وقف فيه الشاب الأسمر يخطب في الجموع تحت قبة الجامعة ... ولن أنسى عينيه الصادقتين وعباراته الواثقة الحازمة والمليئة بالأمال والطموحات للجميع ... العدالة والحرية والمساواة... للجميع ..للأبيض وللأسود ... للأحمر وللأصفر ... لليهود وللمسيحيين وللمسلمين...

لم أنس كل ذلك ولم أنسى بالأخص ...أننا لم نرى يوماً سلاماً في العالم منذ طل علينا وجهه الحالم وألقى علينا السلام....

السلام عليكم ..

ابتسمت في سخرية مريرة وأنا أتذكر وأتذكر ...لكن ..لم تكن تلك أبداً هى البداية ... ولم نصل لما وصلنا إليه بمجرد كلمة ألقاها الفتى الأسمر تحت قبة الجامعة....

كنت بحاجة إلى أن أعرف .. إلى أن أفهم ...كنت بحاجة إلى.. حلم جديد...

وعدت إلى فراشي حثيثاً، واستلقيت على ظهري وأنا أمني نفسي بحلم جديد عندما دوت الصرخة الملتاعة...

انتفضت زوجتي في فراشها وهبت جالسة وهي تضع كفها على صدرها في ذعر أما أنا فقد تدثرت بملائتي وأنا أقول في لا مبالاة:

-عودي لفراشك ..إنها جارتنا الست رجاء...

-رجاء !!! وهل ستنام دون أن تعرف ماذا جرى لها....

أعطيتها ظهري قائلاً قائلاً في سأم:

-يبدو أن أحدهم يغتصبها .. لقد صار هذا مثيراً للملل في هذه الأيام.

وبضمير مرتاح رحت أغط في نوم عمييييييق...

***

أني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون...

أيخون إنسان بلاده ...؟

إن خان معنى أن يكون فكيف يمكن أن يكون ...؟

***

ها أنا ذا أبتسم في أشراق متأملاً الوجوه الشابة التي تجلس أمامي تتأملني في رهبة وانتظار ... انتظار للكلمة ..وللحكمة .. وللبركة ...

لكنني لست البابا ... البابا يحكم مدينة أما أنا فأتحكم في العالم ..أنا فوق الملوك والرؤساء...

هؤلاء الشباب لا يعرفون حقيقتي ..لو عرفوها لارتعدت فرائصهم فرقاً....

فقط أنا أبدو لهم أحد رعاة السلام العالمي ودعاة الحرية....

ملياردير نعم ...خبير نعم ... لكن كل ماسبق لا يعبر عن حقيقة ما يواجهونه أنها من اللحظات النادرة حينما يلتقى أحد أفراد النخبة الكونية مع بعض العميان الصغار....

وفي اغلب الأحيان لا يعرف العميان الصغار أنهم فعلوها ..ربما يعلمون حينما تتم ترقية أحدهم إلى رتبة أعلى...

-هل تعلمون..لماذا أنتم هنا ...؟

قال واحد:

-لأن بلادنا ملئت بالظلم...

وقال أخر:

-لأن بلادنا تقمع الحريات...

وأكمل ثالث:

-لأن بلادنا تحرمنا المساواة....

تأملت الوجوه الغاضبة التي أمامي وابتسمت في رضا ..قلوبهم تمتلئ حقداً وكراهية لأوطانهم ...أوطانهم التي حرمتهم من الثالوث المقدس..

الحرية....

المساواة.....

الإخاء.....

قلت لهم فارداً ذارعيا وكأنني أحتضن الجميع:

-أنتم صفوة الصفوة .. غيركم في مثل سنكم الان يرضخ للظلم وينتظر من يقوده ..أنتم المبصرون حقاً ..وستقودون أوطانكم إلى الحرية والعدالة والمساواة ...ستعودون ملوكاً ورؤساء بعد أن كنتم صعاليك ..منكم من يحلم بالمال ومنكم من يحلم بالمنصب والجاه..

وبرقت عيناي وأنا استطرد بصوت كالفحيح:

-أنتم هنا في أرض أبداً أبداً ....حيث تصير الأحلام والخيالات واقعاً ملموساً وتوقفت برهة لأتأمل وقع كلماتي على وجوههم...

وجه يحلم بالمال ..لا تخجل يا صديقي ...لو دققت النظر في المراة ستجد الأوراق الخضراء الساحرة معكوسة على بياض عينيك...

ووجه أخر يحلم بالسلطة ... ودوى هتافات الجماهير التي ستهلل له تصم أذنيه...

وأخر يحلم بالزواج من الفتاة التي تجلس إلى جواره .. في بلاده

يعتبر هذا زواجاً محرماً لأن ديانته تختلف عن ديانة الفتاة لكن هنا .. في أرض أبداً أبداً طلباتك مجابة ... حتى أنت ..نعم أنت ... لا تخجل ... يا من ولدت بعيب خلقي شائع لكنه غير مقبول في مجتمعاتكم المتخلفة القمعية لكنه هنا يعتبر مجرد
اختيار .. وحق مشروع.. من حق الرجل أن يفكر في رجل مثله ويهيم به حباً
ويتزوجا في النهاية ... في بلادكم المتخلفة يعتبر هذا جريمة شنعاء وتجديف
وتحقيقه أبعد من الخيال ...لكنكم هنا في أرض أبداً أبداً ..كل شئ مجاب...
لكن يبقى الروتين الأبدي ..لكي تتحقق أحلامك لابد من مقابل ....لابد من ثمن..
-لابد ان تتعلموا كيف تسيرون على النهج الذي سنرسمه لكم بعناية ... لابد من الطاعة المطلقة .. والانصياع التام .. سندربكم كيف تواجهون الصعاب وتنتصروا عليها في النهاية ...مهما كانت التضحيات ....مهما كان الثمن....
قلتها وفي داخلي أعلم يقيناً أن أمامي حفنة من الأوغاد لا يتورعون عن التضحية بدماء أقرب الناس إليهم في سبيل تحقيق غايتهم..
حفنة أوغاد .. لو كان ميكيافيلي حياً لسال لعابه أمام تلك البضاعة

الرخيصة
والغالية في نفس الوقت....
تعالوا يا أبنائي إلى أبيكم الذي اخترتموه بإرادتكم ...تعالوا تحت عبائتي
فإن مأساة فاوست تتكرر منذ فجر التاريخ وحتى ينفخ في الصور.
***
في الصباح جلست اتابع نشرات الأخبار في عدة قنوات تليفزيونية بينما زوجتي تعد الإفطار .... كان العالم كعهدي به يأكل بعضه بعضاً
على الشاشات....
كان هناك العديد من الضحايا والدماء....
كان هذا هو الثمن والقربان الذي قدم لكي ننال الحرية والمساواة والإخاء
المؤسف هنا هو أنني لم أرى على الشاشات من بين الضحايا أي وجه من تلك الوجوه التي قمت بتدريبها بنفسي ..في الحلم طبعاً ....
ذكروني في الحلم القادم أن أخذ معي ورقة وقلم لأدون تلك الأسماء التي

باعت روحها للشيطان...

فقد يكون هذا مفيداً ... في المستقبل....

***

العام : ٢٠١٢

هذه المرة جائني الفتى الأسمر وقد انتشر الشيب في رأسه لقد نال قسطاً من الخبرة في خلال الأربع سنوات الماضية..
لكن وجهه مازال نضراً حالماً موحياً بالأمل..
وانحنى في أدب ليلثم كفي الممدودة إليه .. ونزع عن عينيه منظار الشمس الداكن وجلس إلى جواري تحت المظلة..
كان البحر يعزف سيمفونية ملحمية هادرة وكنت مستغرقاً في التأمل.. البحر في تلك اللحظة يلقي إليك بأسراره..
لقد أثبت جدارة غير عادية أي بني .. تستحق عليها أربع سنوات أخرى في المعبد الأبيض..
ابتسم الفتي في فخر ولمعت عيناه الصافية الذكية:

- لقد تركت العالم من ورائي يأكل بعضه بعضاً..
- هذا هو تخصصك أي بني ..ومن أجله ندعمك..
- لقد جئت من أجل خطة الأربع سنوات القادمة..
- أها ..إذن هل أنت منصت ..؟

أومأ برأسه علامة الإيجاب .. فأخرجت سيجاراً ماركة غوركا بلاك دراغون من علبة السيجار المبطنة والمصنوعة من عظم

الجمال ..لا أحد يدخن السيجار الكوبي في الولايات علناً لكن مالنا وللولايات ..نحن كما أسلفنا ..فوق الدول والملوك والرؤساء ..وسارع الفتى بتناول القداحة الذهبية وتطوع بإشعال السيجار الفاخر لي..

جذبت نفس عميق من السيجار ..ونفثت حلقتين متتاليتين من الدخان كأني أبصر فيهما الطالع ..ثم بدأت أتكلم...

- هناك دائماً عقبة منغصة تقف كحجر عثرة في طريقنا خطة القرون على وشك أن تكتمل والدائرة تستعد لتنغلق ..لكن ..هناك من يضع قدمه في أخر لحظة وفي أضيق فرجة..

تنحنح الفتى ثم قال في خشوع:

- هذه العقبة لن تستمر طويلاً .. لا يوجد لديها أمن داخلي الجيش مشتت والأحزاب تتناحر .. الديون وخسائر الاقتصاد كفيلان بإدخالها في موسوعة جينيس للكوارث..

نفثت حلقة أخرى من حلقات الدخان .. ونظرت إليه نظرة جانبية محاولاً كتمانً مشاعري .. قلت له في بطء:

- لكن هذه العقبة لا تزول .. كل المؤشرات تقول أن هذه العقبة لا ينبغي لها أن توجد أصلاً..لكنها موجودة بالفعل .. والسبب أن الجيش ليس مشتتاً كما يدعي ..لابد أن يحال جهاز الأمن الداخلي للتقاعد ولابد أن توجد الميليشيات الشعبية التي ستطالب بحقها في ميراث الأمن الداخلي لديك فرق متنوعة بالداخل يمكنها عمل شئ

حقيقي .. لديك أصدقاء حقيقيون في الداخل راهن عليهم وستكسب .. لا تنس أننا ندعم الجميع..

ثم توقفت هنيهة لأنفس المزيد من دخان السيجار الكوبي..

ثم قررت أن أقص عليه قصة حزينة:

-يحكى أن امرأة جميلة قتل العدو بعلها طمعاً فيها ومن أجل ذلك تركوا لها ولدين توءمين متنازعين على شئونها .. كل منهما يدعي أنه الأحق برعايتها وكل منهما يعتقد أنه مختلف عن الأخر وطريقه غير طريق الأخر .. لكن كليهما صنيعة واحدة والصانع واحد .. والحقيقة الغائبة عنهما أنهما يعبدان طريقاً واحداً للعدو ينتهى حيث فراش الأم المصون..

انتهيت من قصتي ووضعت كفي على فخذ الفتي وبصوت قادم من فوهة بركان ملتهب عقبت:

- الأربع سنوات القادمة لك مهلة ..من أجل إزالة تلك العقبة من طريقنا .. تذكر أنها فرصتك الأخيرة..

ضم الفتى الأسمر شفتيه وانعقد حاجبية قبل أن يقول في حزم:

- إنها لمهلة طويلة...

- إذن عد أيها الفارس الأسود لميدانك .. وسأجلس جوار المذياع أنتظاراً لسماع أخبارك..

ومددت له كفي ليلثمها قبل أن يهب واقفاً ويعدل من هندامه ويضع منظار الشمس الداكن على عينيه..

ومكثت أراقبه وانا انفث حلقات الدخان..
فتى واعد وذكي .. صحيح أنه سيعطلنا أربع سنوات أخرى
لكنه واعد وذكي .. وربما فعلها ..من يدري..
وإن لم يكن فسيذهب إلى حيث ذهب رفاقه..
إلى مخزن العرائس والدمى القديمة...
***
في الصباح حينما عدت لشخصيتي العادية جلست أجذب شعري
وأخمش وجهي أمام شاشة التلفاز..
الدخان وأصوات الطلقات لم أعد أميز مصدريهما ..ربما من
التلفاز
وربما من عند الجيران .. حاولت كثيراً في الأيام الماضية أن أبقى
مستيقظاً ..لا أريد أن أنام.. لا أريد..
لكن من ذا يستطيع أن يهرب من سلطان النوم الغاصب..
وجاءت زوجتي بطبق ضخم مليء بالفيشار الساخن تسليتنا
العتيدة أمام شاشة الأخبار .. وجلسنا بفم مليء بالفيشار نتابع
مبارة المصري مع المصري .. النتيجة حتى الأن...
لم أستطع التمييز حقيقة لأن الرؤية تشوشت فجأة أما عيني..
كنت أبكي كطفل قتل العدو أباه..
طمعاً في أمه الجميلة..
***

العام : ٢٠١٣

لا .. لست بحاجة إلى حلم جديد..

لقد استيقظت أخيراً من الكابوس الطويل ولم يبق إلا أثره الكئيب الذي يعلق بالنفس برهة من الوقت..

ثم لا شيء بعدها....

***

هذه المرة اترك لخيالي العنان..

ربما عدت للوراء عدة قرون ..فأتخيل نفسي سيف الدين قطز وهو يرمق رقعة الإسلام من مشرقها إلى مغربها بوجه مغتم مهموم .. طوفان التتار القدامى يجتاح الوطن الإسلامي ويلتهم كل يوم قطعة غالية من أراضيه .. من الشرق يجتاح فارس فالعراق ثم يداهم سورية ..ويقترب من أرض الكنانة..

لقد قررت أن أقف حجر عثرة في طريق التتار ...لكن هناك أيضا حجر عثرة في طريقي يجب أن تزال ..والتفت ناحية السلطان ..فتى صغير .. ضعيف الرأي لا يقوى على النهوض بأمر عظيم مثل مجابهة التتار..

وكان لابد من حل لهذه الإشكالية..

-عزلت السلطان..

هكذا صاح الأمراء معترضين حينما فوجئوا بالخبر فرفعت كفي إليهم ليصمتوا ..ًقلت في هدوء وثقة:

-التتار على الأبواب ولابد لمصر من سلطان قوي يأوى إليه الناس
ويجمع شتاتهم في مواجهة السيل الجارف..
رباه كم تحليت بالصبر والجلد رغم خطورة الموقف وتبعاته .. كم هو مرعب أن تتفق لك قيادة تلك الملحمة ..فبعد أن استسلمت للتتار دول وممالك شتى وداهنهم وصانعهم ملوكها تأتي أنت..
لتسوس العباد وتجند الأجناد .. وينادي منادي الجهاد في مدن وقرى المحروسة ..أن هلموا إلى جنة عرضها كعرض السماوات ..وفي عين جالوت كانت الكسرة المدوية..
ألقيت خوذتي وصرخت فشقت صرختي عنان السماء:
-يالله .. أنصر عبدك قطز...
وكسر التتار وأنقذت مصر العالم..
ضربت رأس الأفعى في أرض الكنانة ..وبقى لها ذيول هنا وهناك .. وغداً سأجرد لها الحملات وسأطهر التراب الإسلامي الطاهر من رجس التتار .. وهكذا كانت البداية دائما من أرض الكنانة ..بلد الكرامات..
***
ومرة أخرى اترك لخيالي العنان .. فأراه واقفا حيث الشاطئ الممتد اللانهائي.. كئيبا مكفهرا ليس في وجهه دم..
لم يعد الشاب الذكي اللامع المقبل على الحياة..

كم تتبدل النفوس وتتغير الأحوال ..الفشل..
كلمة تدوي كالناقوس في أذنيه ويتردد صداها في كل شبر من عالمه .. عالمه الذي بدأ يتداعى..
من بعيد يقترب الشيخ العجوز يمشي في تؤده .. فوق الملوك والرؤساء هو ..لا يخضع لنظام وفوق كل نظام هو ..ولم يشعر به الفتى الأسمر إلا وكفه الباردة على عاتقه فأجفل .. ثم انحنى يطبع قبلة يائسة على كفه العجوز الممدودة..
-مرحبا بفارس روما الأسود الهصور..
تصاعد الدخان الأسود أمام عينيه .. وأوشكت السحب أن تهطل بالأمطار الحارة ..لكنه تمالك نفسه على حافة المنحدر الوعر..
وقال:
-الرب تخلى عني..
-الكل ترس في ألة الرب العملاقة ..ولايملك أحدنا خيار الفشل تذكر هذا جيداً أيها الفارس الأسود .. لقد قمنا باستنساخك من عنصر أعداء الرب وجعلنا منك حصان طروادة .. لقد أمضيت قدما في مخطط الرب لكن ..يبدو أن الرب أراد أن يمجد فارس أخر
غيرك ويشرفه بخدمته الجليلة..
شحب وجهه كالأموات ..وتسائل بصوت قادم من جوف قبر:
-والأربع سنوات الباقية ...؟

-الأمر جلل ولم يحدد مصيرك بعد.. ربما ترحل وربما تكمل خدمتك للرب في محرابه الأبيض كشبح ..مجرد شبح..

وردد الفارس الأسود المحطم:

-شبح..

نعم .. ربما اتخيل هذا وأكثر..

لقد ولى الكابوس الذي جثم على صدورنا وإن كان مؤقتاً

لكن من يدري ..صحيح أن الزمن غير الزمن والناس غير الناس

..صحيح أننا خرجنا من تلك الجولة بعاهة..

لكن من يدري .. ربما أظهرت أرض الكنانة كرامتها كعادتها في اخر لحظة..

***

ومازال الحلم مستمراً..

يوم غير عادي

١ـ حينما تتمنى أمنية

" استيقظ ..عماد .."

مثل اى يوم ممل من ايامى ..افتح عيناى على صوت والدتى العتيدة وهى توقظنى

لاننى كالعادة لا اسمع صوت المنبه ..لكننى اصمم كل يوم على ضبطه ..

-كم الساعه ؟

سألتها بصوت لم تكتمل حيويته من اثر النوم ..فرأيت معالم جسدها فى الظلام

وهى تستدير لتغادر غرفتى قائله فى ملل :

-السادسه وخمسون دقيقه ..

من ثم اقوم انا بدفع الغطاء الدافئ عن جسدى وابدا يومى الذى لن يختلف كثيرا

عن ايامى السابقه ..الحمام ..الافطار ..الحمام مرة اخرى .. ارتدى ملابسى

ثم اتذكر شيئا ..اه ..الحمام مره اخرى ..ثم اعود لالقى نظره اخيره على وجهى البائس فى المرءاة ...

-امى انا ذاهب هل ...؟

-مع السلامه ..سوف اذهب اليوم لزيارة قبر والدك ..لاقرأ الفاتحه على قبره..

وكالعادة لا اعلق ..فهى مصممه على ان قراءة الفاتحه لابد ان تكون عند القبر

كما ان هذا سيؤخرنى لو قررت مناقشتها ..

وهكذا انطلق الى يوم عمل كئيب ..تتخلله لحظات عابره من الملل والشجن

وشرب الشاى الاسود القاتل ..

ثم اعود الى البيت لتناول الغداء ..تمهيدا للخروج الى المقهى العتيد لكسر بعض الملل مع شلة الانس ..فقط لأكتشف اننا لا نكسر الملل بل نكرسه ...

كنت انظر الى شاشات المرئى اتابع احد الافلام المثيرة)اعنى افلام الحركه طبعا (الى جوار صديقى العتيد اشرف ..وارشف بعض رشفات من الشاى الاسود القاتل ..كسرا للعادة طبعا ..ثم اننى التفت اليه قائلا فى ملل :

-هذه الافلام التى يعرضونها لتخرجنا من حالة الملل ..هى فقط تذكرنا اننا نحيا فى ملل ..

-احمد الله يا اخى ..اننا نحيا حياة امنه خالية من المشاكل والمتاعب ..وان كنت تراها مملة ..لكنها نعمة من الله ..

-كم احسد الممثلين ..انهم يحيون كل يوم حياة جديدة ..حياتهم كلها تجديد

وتجريب ..اريد يوما واحدا ..جديدا فى حياتى ..غير باقى الايام

الممله الكئيبه

اريد ان تتغير حياتى ..ان اخرج من ذلك الاطار الذى احيا فيه قرابة الثلاثين

عام ..

ابتسم اشرف بركن فمه قائلا :

-تزوج ..

تقلص وجهى مستبشعا مشهدا دمويا فى الفيلم الذى نشاهده :

-الناس تتزوج من ايام ادم ..لم تاتى بشئ جديد ..

-سافر الى العراق مثلا ..هناك فرص للخروج عن اطار الحياة الممله متوفره ..

-تقصد فرص للخروج من الحياة ذاتها متوفرة ..انا ابحث عن مغامره ..لا عن هلاك محقق ..يوم واحد غير عادى ..انا لا اطلب مالا ..او جاها ..

ونظرت الى بطل الفيلم وهو يثب ليتعلق بطائرة مروحيه ..ثم التفت الى الساقى

مناديا اياه ..لقد قررت ان اعود لدارى ..

صاح اشرف غير مصدق :

-الن تكمل الفيلم ..انت لم تشاهد اللقطه التى سينزع فيها البطل حنجرة زعيم العصابه بملعقة الشاى ..

-لقد مللت من المشاهدة ...ومللت منك انت ايضا ..

وتركته وعدت تعسا كئيبا الى دارى الهادئه ..وقمت بتغيير ملابسى استعدادا
للنوم ..لكن لماذا ..لانشط ليوم كئيب اخر ..
ما هذا الصوت ..فى البدايه تخيلت انه صوت مبنى ينهار ..
خرجت الى النافذة
ونظرت الى السماء ..انه الرعد ينذر بهطول سيلا من الامطار ..
بالفعل بدات الامطار تهطل وتبلل النافذة وترتطم بوجهى ...
لكننى رفعت وجهى الى السماء وتاملت السحاب الثقال الذى يتخلله
وميض البرق ..وتذكرت ..ان الدعاء
مستحب وقت المطر ..
-يارب ..اريد غدا ..يوم غير عادى ..ولا شئ اخر ..
ثم اغلقت النافذة . .وعدت لالقى بجسدى المنهك على فراشى الدافئ ..الممل ..
وسرعان ما غرقت فى النعاس .....
***
-استيقظ ..عماد ..
مثل اى يوم ممل من ايامى ..افتح عيناى على صوت والدتى العتيدة وهى توقظنى
لاننى كالعادة لا اسمع صوت المنبه ..لكننى اصمم كل يوم على ضبطه ..

-كم الساعه ؟

سألتها بصوت لم تكتمل حيويته من اثر النوم ..فرأيت معالم جسدها فى الظلام

وهى تستدير لتغادر غرفتى قائله فى ملل :

-الساعه ستمائة وخمسون...

من ثم اقوم انا بدفع الغطاء الدافئ عن جسدى وابدا يو....

لحظه ..هل قالت امى الساعة ستمائه وخمسون ..لعلى لم اسمع جيدا ...المهم ..

نعود لمسلسل الملل اليومى .. ..الحمام ..الافطار ..الحمام مرة اخرى ..ارتدى ملابسى

ثم اتذكر شيئا ..اه ..الحمام مره اخرى ..ثم اعود لالقى نظره اخيره على وجهى البائس فى المرءاة ...

-امى انا ذاهب هل ...؟)كم تمنيت لو اكملت عبارتى ..حتى لم اعد اذكر

بقيتها بالتحديد (

-مع السلامه ..سوف اذهب اليوم لزيارة قبر والدك ..لاقرأ أية الكرسى على قبره..

وكالعادة لا اعلق ..فهى مصممه على ان قراءة ال ....هل قالت اية الكرسى ام الفاتحه..؟ لم اعد احتمل كل هذا الخرق لقواعد يومى الممل ..

وها انا ذا استمر فى خرق الملل اليومي واتوجه الى امى فى المطبخ ...كانت عاكفه على اعداد شئ ما يؤكل ...

قلت لها فى قلق :

-عفوا يا امى ..هل قلت انك ستقرأين اية الكرسى على قبر والدى ؟

نظرت لى فى ملل ..ثم عادت الى الطهى وهى تقول :

-على ان اعد لوالدك شئ ما يأكله ..لقد تأخرت عليه بما يكفى ..

-اه ..فهمت !!..

وتركتها مفحوما أحمر الاذنين ..وقررت ان اعود الى رتابة يومى مره اخرى

يبدو ان احدهم افسد برنامج حياتى اليومى ..او ان البرنامج بدا يهنج ...(

***

وهكذا انطلق الى يوم عمل كئيب ..تتخلله لحظات عابره من الملل والشجن

وشرب الشاى الاسود القاتل ..ثم اعود الى البيت لتناول الغداء .. تمهيدا للخروج الى المقهى العتيد لكسر بعض الملل مع شلة الانس ..فقط لأكتشف اننا لا نكسر الملل بل نكرسه ...

كنت انظر الى شاشة المرئى

اتابع احد الافلام الرومانسيه)اعنى الافلام الحالمه طبعا (الى جوار

صدي- .....اين اشرف ؟ ..

لم يكن اشرف موجودا الى جوارى منذ البدايه ..لقد جئت الى المقهى وجلست

بتلقائيه اتابع احداث الفيلم الهادئه ..ونسيت ان اشرف لم يأتى حسب الموعد اليومى ..

وهكذا ناديت النادل وسألته عن اشرف ..وقف يهرش مؤخرة راسه مفكرا ..

ثم بدا عليه التذكر للحظه قبل ان تكتسى ملامحه بالاسى وهو يقول اسفا :

-استاذ اشرف فايز ..لا حول ولا قوة الا بالله ...

قلت فى جزع :

-مات ؟!!

-لا يا استاذ عماد ..لا قدر الله ..الاستاذ بخير والحمد لله ..لكنه قبض عليه أمس..

قلت في تلقائية :

-الحمد لله ظننت انه قد حدث له مكروه ..و...

ثم اننى استدركت فجأة فامسكت بتلابيب النادل الوغد صائحا :

-قبض عليه !!!هل تمزح معى ..قل ما تعرفه بسرعه ...

قال وهو يتحاشى يدى التى تمسك بتلابيبه كالكلابات ..

-اهدا يا استاذ ..لقد اخذوه امس بعد ان تركته انت فى المقهى

وانصرفت بثوان ..ولا احد يعرف لماذا ..
تركته ومسكت راسى غير مصدق ..اشرف قبض عليه ..؟ !!
وهنا فى المقهى !!
وحانت منى التفاته الى شاشة المرئى فى المقهى ..ولمحت البطل فى الفيلم
ينحنى ليقطف ورده ويناولها للبطله ..
-ماذا ستفعل يا استاذ انه صديقك ..؟
انتزعتنى عبارة النادل من تاملاتى ..فنظرت اليه فى حقد ..
-اسمع انت لم ترنى اليوم ..ولا فى اى يوم مضى ...
وهكذا قررت ان اول شئ لابد ان افعله هو مغادرة ذلك المقهى الذى صار مشبوها ..الان ..
ومشيت افكر وانا فى طريق العودة للبيت..
هل من مصلحتى ان اتصل باهل اشرف الان ..هل هم مراقبون ..
ولكن ما هى جريمته حقا لو ان هناك جريمه ...واخيرا ماذا حل بى ..؟
هل يعرف احدكم السبب ...؟
***

2- و تتحقق تلك الأمنية

حينما نزعوا العصابة عن عينيه ..ادرك اشرف انه داخل زنزانة تعود الى
العصور الوسطى ..الحجاره الضخمه وابواب خشبيه اكثر صلابة من الحجارةذاتها ..كان من اقتادوه حارسين ضخمى الجثه كما ينبغى ان يكون ..

-اين انا ..وما هى تهمتى ...؟

نظر اليه احدهما نظرة خاويه من اى تعبير ..ثم تبادل مع زميله نظرة اكثر خواء

ثم غادرا الزنزانه ..وسرعان ما انغلق الباب الخشبى الضخم خلفهما ..

اما اشرف فقد وقف لحظات غير مصدق لما يجرى حوله ..

))اريد يوما واحدا ..جديدا فى حياتى ..غير باقى الايام المملة الكئيبه

اريد ان تتغير حياتى ..ان اخرج من ذلك الاطار الذى احيا فيه قرابة الثلاثين

عام ..((..

وطوال الليل ظل يلعن صديقه اللدود عماد ..كان يشعر انه وراء ما يحدث له الان ..لا يدرى كيف ..لكنه ذلك الاحساس ..انه ينبع من داخله ..

وفى الصباح استيقظ ليجد من يقتاده معصوب العينين مره اخرى ...

-تبا ..لا حاجة الى ان تعصبوا عيناى ..يكفى ان تنزعوا منظارى الطبى

فلا ارى شيئا البته ...

لكنه لم يسمع ردا ..وحينما نزعوا العصابه عن عينيه ..ادرك انه فى قاعة محكمه ..وكان الصخب عاليا ..واليوم يبدومشحونا بالقضايا ...

لكن يبدوا ان قضيته كانت قضية الساعه ...كان يقف الان مسلسلا من يديه الى قدميه ..امام القاضى الذى داعب شعره الابيض المستعار الذى كان يضعه القضاة على رؤسهم فى القرون الماضيه ..ثم قال فى برود :

-اشرف فايز ..انت مدان ..وعليك ان تعترف ..فتلقى عقابك ..او تنكر

فيتم تطهيرك ..

شعر عماد بالدم يغلى فى عروقه ..قال من بين اسنانه :

-لو تصورت اننى ساموت رعبا واعترف لك ايها المهرج .. فأنت وغد واهم ..

هوت الصفعة على قفاه ..فارتطم راسه بالمنصه ..

اعتدل اشرف فى حده وحدج الحارس الذى صفعه بنظرة ناريه ..

ثم نظر الى القاضى فى شمم ...وقال فى كبرياء :

-بماذا تريدنى ان اعترف الان ..؟

-انك مدان ...

-هذا سهل جدا ..انا اعترف اننى وغد حقير مذنب ..

نظر القاضى الى اوراق امامه ..وكتب شيئا وهو يقول فى برود :

-غدا سيتم اعدامك ...القضيه التاليه ...

وقبل ان يفهم اشرف شيئا ...عادت العصابه على عينيه من جديد ..ووجد من يجره جرا خارج القاعه ..على حين دوت اصوات الاستحسان من الحاضرين فى القاعه ..على غرار)يحيا العدل (..و)الموت للطاغيه (.. (الى الجحيم .. (..

وبعد ثوان نزعوا العصابه عن عينيه ليرى ابشع مشهد يمكن تخيله ...

النطع الملوث بالدماء ..والجلاد ضخم الجثه ..الذى يدارى وجهه بغطاء لا يبرز الا عينيه ..ويلوح ببلطه ضخمه فى يده ..

صرخ اشرف بكل ما يعتمل فى نفسه من رعب واسى واحساس بالظلم :

-هذا لا يمكن ..انتم تمزحون معى اليس كذلك ..قولوا انها الكاميرا الخفيه ..

زجره الحارس الذى يمسكه من اليمين :

-اصمت يا مذنب ..

وقال الذى عن يساره :

-لا تقلق ..مسرور السياف خفيف اليد لن تشعر بألم ..

نظر اشرف الى البلطه فى يد الجلاد نظرة زائغه وهو يقول :

-هل سيعطينى البلطه فى الوريد ..؟

-شش ...

ودون كلمه اخرى وجد اشرف راسه على النطع والحارسين يكبلانه من الخلف حتى لا يتملص ..

وشعر بالجلاد يستعد ليهوى على عنقه بالبلطه المرعبه ..

لكنه وجد الوقت الكافى ليقول فى حقد :

-لن تفلتوا بفعلتكم ..بعد ان اموت ساصير شبحا وساحيل حياتكم الى جحيم ..

عماد ..ايها الوغد ..ماذا تفعل الان؟ ...صديقك سيفقد عنقه ..

ثم انه فقد التحكم فى اعصابه وانفجر باكيا وصار يهذى بكلام غير مفهوم على غرار ..هر ..تف ..بخ ..وع ..اوع ...و ..

هنا سمع الصرخه ..

وسمع معها صوت عظام تتحطم ..وشعر بذراعى احد الحراس ترتخى حول ساعده ومنكبه ..وكان الحارس نفسه مكوما على الارض يتلوى واضعا كفيه على وجهه الذى تلوثه الدماء ..

وقبل ان يستوعب اشرف المشهد رأى الجلاد يهوى بظهر البلطه على عاتق الحارس الثانى ..الان فهم ان الجلاد لسبب ما صار

ملاكه الحارس ..

وكان قد تحرر من ممسكيه فوثب على الحارس الاول وقام بلف قيوده الحديديه

حول عنقه وظل يضغط علي العنق وعلى اسنانه كذلك ..اما الجلاد الضخم

فكان يستعمل البلطه المرعبه بكفاءة منقطعة النظير ..وحينما انتهى من الحارس الثانى ...كان اشرف قد اجهز على الحارس الاول ...ووقف يتامل منقذه الذى جاء على غير العادة ..وهو ينزع الغطاء عن وجهه ...و..

-مستحيل ...عماد ...ماذا تفعل هنا ...؟

***

كنت انا الجلاد منذ البدايه ..ووقفت الهث من الانفعال ملوحا بالبلطه ثم قررت ان اجيب اشرف على تسائله :

-انا هنا ..لكى اكسر الاطار ..

ودون كلمه رفعت البلطه وهويت بها على قيود صديق العمر الذى لم يصدق انه تحرر اخيرا ..لكنه وجد ما يقوله :

-عماد انت مجنون تماما ..لم اتخيل انك ستفعل ما فعلت ...

-الم تفهم بعد ..لقد استجاب الله لدعائى ..ها نحن ذا اثنين من المغامرين

لا يشق لهم غبار ..كنت فى البدايه لا افهم ما يجرى لى ..والان

فهمت

لم تعد حياتى مملة كما كانت ...ولا اريد لها ان تعود ...

-ايها المجنون ..اى ملل ..نحن الان خارجين على القانون ..

لم يكن لدى وقت اضيعه معه فهو لن يفهم ما اشعر به الان ..ولو بقينا

فسيطير مسرور الحقيقى الذى قمت بتخديره رؤوسنا الجميلة ..

قمت بالتخلص من القطع الاسفنجيه التى حشوت بها جسدى لابدو ضخما ثم

اشرت له الى نافذه قريبه داخل حجرة الاعدام قائلا :

-استعد ..سنغادر من هنا توجد عربه اسفل النافذه ..لا تقلق انها عربه كارو

محمله بالقش لقد اعددت كل شئ ..

وماهى الا لحظات وكنا نقفز من ارتفاع طابقين ..شعور غامر بالسعاده

وهواء الحريه يفعم رئتينا ..واخيرا استقرت اجسادنا وسط اكوام القش

الذى لم تكن رائحته طيبه ..

بصق اشرف بعض القش الذى دخل فمه من اثر السقطه ثم قال فى قرف :

-والان ايها العبقرى ..

اعتدلت وانا اقهقه فى سعادة غامره قائلا :

-كانت قفزه رائعه ..فقط لو اعطونا الفرصه لتكرارها ...و ...

لكنه قاطعنى فى غيظ :

-كف عن التعامل مع الامر على انه لعبه ..واخبرنى كيف سنفر بعربتك اللعينه تلك ..

هنا امتقع وجهى وضربت جبهتى بكفى صائحا :

-تبا ..لقد احضرت العربه ونسيت الحمار الذى سيجرها ...

-كيف احضرتها الى هنا بدون حمار يا ابله ...؟

-انا جررتها الى هنا طبعا ..

-اذن فلتكمل مهمتك ..فأنا مرهق جدا ..و ..

-هذا ليس عدلا ..انا جررتها الى هنا ..والان دورك ...ساغفوا قليلا و ..

هنا دوت صفارات الانذار فى المكان ..ولم يكن هناك وقت لنضيعه حول من سيجر العربه لنفر بها ...

وهكذا قمنا نحن الاثنان بجرها !!!

****

بعد ان ابتعدنا بما يكفى تخلصنا من العربه الكارو ..ثم ركبنا احدى وسائل المواصلات

المخصصه للهاربين ..وجلسنا الى جوار مجموعه من ارق المجرمين الهاربين ..حديثى الهروب ..

لوحت لهم بكفى فى حراره قائلا:

-كفارة يا رجالة ....

نظر اشرف الى الوجوه الاجراميه الرقيقه التى ترمقنا فى شك وقال فى رعب:

-كيف سنحيا بعد الان ..؟

ابتسمت قائلا :

-تقصد كيف ستحيا انت من الان ...فالمشكله مشكلتك ..انت المدان ..انت الذى هربت ..اما انا فلا وجود لى ..ساعود الى حياتى مره اخرى تذكر انه لا احد يعرف وجه من قام بتهريبك .. اما انت فعليك ان تختفى الى الابد ...

امتقع وجهه قائلا :

-ما فائدة الحرية اذن ..كان عليك ان تتركنى اموت فى هدوء ..

-لا تقلق ..انها مسألة وقت ..وغدا سينسى الجميع ما حدث .. ومن يدرى ..

ثم اننى صحت بالسائق لكى يتوقف جانبا ..والتفت الى اشرف قائلا :

-سانزل هنا ..اتمنى ان تجد السعادة مع رفاقك الجدد ..

-عماد ..لا تتركنى مع هؤلاء ...

-اطمئن ..وحاول ان تتأقلم مع حياتك الجديده ..كنت اتمنى ان تكون مغامرتى مع احدى فاتنات السينما العالميه ..سوف استدرك

هذا فى المره القادمه ..لعلى اختار صوفى مارسو او ...
هنا قاطعنى السائق فى ملل ...فهو هارب ايضا وليس امامه وقت ليضيعه:
-محطتك يا استاذ ...
اعتذرت له وللاخوة المجرمين ..وسرعان ما قفزت من العربه فى رشاقه
وانا الوح لاشرف التعس بذراعى فى مرح ...ووقفت اودع العربه الهاربه
وانا اتنفس الهواء العليل ..هنا برز وجه اشرف من احدى نوافذ السياره صائحا :
-اشرف ..اعتنى بنفسك ..
اشرق وجهى وانا اقول له فى حبور باعلى صوتى: !!
-لا تقلق على ..قلت لك لا احد يعرف اننى منقذك ...اعتنى انت بنفسك ..
وغاب اشرف داخل العربه ..التى سرعان ما غابت هى الاخرى وسط الزحام ...
واستدرت انا لاكمل مسيرتى و....
هنا ارتطمت عيناى بذلك الملصق على احد الجدران ..
صورة ملونه لى وانا اضحك فى بلاهه ..وتحتها كتب بخط اسود

واضح

ابحث مع الشرطه .....

٣- ساعتها يبدأ الكابوس

ابحث مع الشرطه !!!!

لم يكن ذلك الملصق هو الوحيد ..عشرات الملصقات التى تحمل صورتى العزيزة ..والجميل انها كانت صور مختلفه ..

وقد اتخذت فيها اوضاع ممتازة مثل اى ممثل يحترف الوقوف امام الكاميرا ...كانت الصور اقرب الى افيشات السينما ...ما عدا العرض المغرى الذى كتب بخط واضح اسفل الصور ...

مكافأة لمن يساعد فى القبض على حيا او ميتا ..مائة الف ترللى!!!

كل تلك الملصقات ولا توجد اى اشارة ولو من بعيد الى الوغد الاصلى الذى قمت بتهريبه منذ قليل ..لم يعد هناك مجرم اسمه اشرف فايز ..فقط عماد ...وكدت اصيح ..هذا ليس عدلا ...

لكننى كتمت انفعالاتى حتى لا الفت الانتباه ..وقمت سريعا بخلع سترتى العلويه وقمت بربطها حول رأسى كما يفعل من يعانى من الصداع وجعلتها تنسدل لتدارى جزء كبير من وجهى ..

ووسط زحام العاصمه وصخبها سرت بهذا المظهر المثير للضحك

وعشرات الافكار والصور تتداعى فى عقلى...

انا الان ضائع ..لا بيت لا مقهى لا عمل ..لا مأوى ..مؤكد انهم يرصدون

كل مكان يمكن ان اتردد عليه ..
وتذكرت ايامى الخوالى ..التى كنت اتهمها بالملل ..وتنهدت حسرات ...
فجاة تذكرت والدتى ...
تبا ..لابد انها سمعت باخبارى فقد صرت رجل الساعه الان ..
ولابد انها الان فى اسوأ حال ..اذن لابد من ان اغامر لكى اطمئنها على ..الستم معى ...؟
***
امى ليست بالمنزل ...
بعد ان جازفت ..وذهبت الى منزلى العزيز ..وصعدت السلم متحاشيا
نظرات الشك والريبه فى عينى البواب ..كان مظهرى العجيب كفيل بفضح امرى
وفكرت فى اننى لوكنت ذهبت بوجهى مكشوفا لما التفت الى احد ...المهم اننى
فتحت الباب ودلفت الى المنزل الدافئ الحنون ..كم كنت مشتاقا الى كل ركن فيه ..
لكن اين امى العزيزه ..هل حدث لها مكروه ؟ هل تعرض لها احد بأى اذى ...
فى بعض الاوقات يقوم رجال الشرطه بالقبض على اقرباء

الهاربين حتى يضطروهم الى تسليم انفسهم ..ترى هل هذا ما حدث ...

جن جنونى حينما فكرت فى هذا الامر ..واقسمت انهم سيدفعون الثمن لو مس احدهم

شعرة واحده من راس امى ..

كنت ابحث الان كالمجنون عن مسدس ابى القديم ..فتحت خزانة الثياب وقمت باخراج ما فيها ستتفهم امى كل هذا التخريب الذى احدثت ..كله من اجلك يا امى ..

اين المسدس اللعين ..؟

-هل تبحث عن هذا ؟

التفت فى جزع الى مصدر الصوت ..فقط لاجد فوهة المسدس الذى كنت ابحث عنه مصوبة الى رأسى ..

-امى ..حمدا لله ...

كانت امى تقف حامله مسدس ابى فى حرفيه واضحه ..وكانت غاضبه وهى تشير الى خزانة الثياب التى تحول ما بداخلها الى عجين ..

-عماد ..انت كعهدى بك ..مثير للمتاعب اينما كنت ..

-لقد ظننت انك اصبت بمكروه وكنت ابحث عن مسدس ابى و..

-كل هذا كان متوقع منك ..وكنت انتظرك..

وامام عيناي المذهولتان ..الصقت امى مسدس ابى بجبهتى ..

وارتسم على وجهها تعبير جشع وهى تقول فى صوت كالفحيح :

-مائة الف تررالالى ..هى ثمن رأسك الغبى ..لا تتعب امك العجوز ولا تجبرها على صنع ثقب قبيح فى جبهتك ..

-امى .. ماذا تقولين.. ؟؟!!

-عماد كن ولدا بارا بوالدتك ..المكافاة التى رصدوها من اجلك يمكنها ان

تصنع لنا الكثير ..

كان هذا كافيا ..لكى انهار تماما ..ارتخت ساقاى من تحتى وجلست على الارض مشتتا غير مصدق للكابوس الذى احياه ..

قلت فى صوت كالحشرجه:

-امى ..سيقومون بأعدامى لو قبضوا على ..سيعدمون ولدك..

قالت فى لا مبالاه :

-هذا وارد ..لكنك لن تبخل على امك بهذه الخدمه الجليله ..

-وما قيمة المال بدون ولدك ..؟

قالت كانما هى تحلم :

-يمكننى ان اتزوج مره اخرى وانجب العديد والعديد من الاولاد ..وساحاول

العمل على تحسين النسل ..بدلا من)خلفة القرود ...(

-تنجبى ماذا ؟ !!فى هذا السن يا امى ..انت لست بحاجه الى مائة الف ترللى ..انت بحاجه الى معجزة من السماء ..

صاحت فى حدة وهى تضغط على جبهتى بفوهة المسدس :
-اخرس ..لقد كنت مدفونة مع والدك طوال ثلاثون عام ..وجاء الوقت الذى
استطيع فيه تحقيق ذاتى ..قم معى ...
كانت مصممه ..وكان على ان انتشل نفسى من بركة اليأس والاحباط والجزع
احتاج الى ان افكر جيدا كيف اواجه امى التى تحمل مسدسا مصوبا الى رأسى ..و..
هنا تشممت الهواء كاننى اجد رائحة كريهه ..ثم صحت فجاة :
-رائحة طعام يحترق ..الا تشعرين بهذا يا امى ..؟
هنا رأيتها تنتفض فى جزع صائحه :
-لقد نسيت الطبيخ على النار ..
ثم اندفعت جريا الى المطبخ وهى تلعننى ..اما انا فقد نجحت خطتى المتواضعه
وحان الوقت كى افر هاربا من براثن امى ..وهكذا جريت الى الباب وانا لارى تقريبا ..تعثرت عشرات المرات ..واصطدمت بعشرات الاشياء ..قبل ان اجد نفسى فى الشارع ..هنا هدات بعض الشئ ..وعدت اداري وجهى بسترتى حتى لا يلحظنى احد من الماره ..ثم تقدمت بخطوات واثقه وقور ...
هنا برزت امى من النافذه وهى تلوح بمسدس ابى فى يدها صائحه

:

-لا تتركوه ..هذا ولدى عماد الهارب ..لقد اهدرت دمه ..

هنا ادركت انه لا داعى للتخفى ..ولا داعى للوقار ..واطلقت ساقاى للرياح ..

وخلفى ..كان يعدو خيرة شباب الحى ...ومن كانوا بالامس اهلى وعشيرتى ..

يطلبون اليوم راسى من اجل مائة الف ترللى ...

***

كان مشهدا رائعا ...

وقد اثبت رجال الحى الذى كنت واحدا منهم ..يوما ما ..ان لديهم لياقه بدنيه عاليه ..وهم يعدون خلفى ..وصيحات حيوانيه يطلقونها من حناجرهم ..فأزداد رعبا ..واكتسب سرعة غير عاديه ..بفعل الخوف ..

مررت بجوار المقهى العتيد الذى قضيت عليه اجمل الاوقات المملة ..

فقط ليزداد عدد المطاردين بانضمام رواد المقهى اليهم ..وعلى رأسهم

النادل الوغد ...

واقسمت فى نفسى ..ساجعلهم يموتون من الذبحه الصدريه قبل ان يصلوا الى ..انتم لم تشاهدوا عماد وهو يعدو ...

كانت حركتى بطيئه ثقيله لكننى كنت اقطع مسافات شاسعه !!
واخيرا لم ينقذنى الا الحافله 606الاتوبيس الذى ينتظره سكان جمهورية مصر العربيه ...والذى لا يأتى فى العام الا مرتان تقريبا ..

ما ان لاح فى الافق حتى تصايح جمع المطاردين :

-اتوبيس .. 606اتوبيس ...606

ثم انطلقت الجموع خلف الاتوبيس .. 606

ووقفت انا الهث ..غير مصدق ان اتوبيس 606انقذ رقبتى ..
وانا الذى كنت امقته فى يوم من الايام ..واعتبره وسيله جيدة لتخزين سمك السردين ...الان هو اجمل وارق اتوبيس راته عيناى ...

وبعد ان استجمعت انفاسى ..شددت قامتى فى اعتداد ..مستانفا رحلة الهروب ..و...

فجأة تذكرت :

-اتوبيس !!!..606يا ويلى ....

وانطلقت فى محاولة يائسه للحاق باتوبيس 606بدورى ..لقد ابتعد عنى وغاب وسط زحام الحافلات ..لقد اضعت فرصه لا تتكرر فى العام الا مرتين ..الستم معى فى هذا ...؟

***

٤- وتتمنى مرة أخرى أن تعود

الجوع والعطش والبرد والضياع ...اجتمعوا لينسجوا حولى خيوط
البؤس والشقاء ..وارخى الليل ردائه الاسود الفاحم على عالمى الجديد الذى لا يقل سوادا ...
لا ادرى متى ولا كيف قادتنى قدماى الى المقابر ...
من المجنون الذى يذهب الى القبور فى مثل هذا الوقت ..
حسنن كنت قد تجاوزت مرحلة الجنون منذ بدا يومى الغير عادى .. ..
وهاهى شواهد القبور الكئيبه ينعكس عليها ضوء القمر ...كان عم جابر التربى نائما على دكة خشبيه جوار احد الاضرحه ..شيخ عجوز تجاوز
السبعين بعد المائة الرابعه ..ولا يشكل اى خطر ولو لذبابة...وهكذا تركته ينام فى هدوء ..
كان قبر والدى هو ملاذى الاخير ..وهكذا سرت بين المقابر اقرأ الشواهد واللافتات التى على البوابات الرئيسه للمقابر ..واخيرا وجدت
ضالتى ..مقبرة الحاج منصور حافظ ..والدى رحمه الله ورده الينا سالما ...
كان باب المقبره الرئيسى مفتوحا ..وهذا غريب ..تبا هل هو فخ

اخر ..

الحمد لله ..هاهو ذا ابى رحمه الله يجلس وسط مجوعه غاية فى الرقى

من الموتى ..ويبدوا ان ابى عاجلهم بأحدى نكاته فتعالت ضحكاتهم

المليئه بالتفاؤل والامل فى غد افضل ...

تنحنحت فى حرج ..فالتفتوا الى ..ورايت ابى يهتف فى حبور :

-لا تقلقوا هذا ولدى الوحيد عماد ...

ثم استطرد وهو يشير لى كى اجلس جوارهم :

-مع انه ليس موعدا معتادا للزيارات ..لكن هلم ..اجلس مع الاحباب

جلست وانا اتاوى من اثر المشى المضنى لقد تحولت ساقاى الى لوحى خشب ..ثم قلت فى ارهاق :

-لم يعد هناك شئ معتاد فى هذه الحياة يا ابى ..

تجاهل ابى المرحوم عبارتى وقال وهو يقدم لى اصدقائه :

-اقدم لك الحاج المرحوم على ناجى ..وهذا المغفور له الاستاذ زكى حسين ..وهذا الوسيم الخجول هو الباشمهندس نسيم ..و..

قلت مقاطعا فى احباط :

-تشرفنا ..ساقرا لهم جميعا الفاتحه ..المهم اننى فى ورطه يا ابى ..

-عظيم ..هذا هو اول طريق الرجوله ..ان تعترف انك فى ورطه
من ثم تبدا فى وضع الحلول الافتراضيه التى ينبثق منها حلول فرعيه
تتوائم مع المشكله الوضعيه الانيه ..و ..
صعد الدم الى راسى ..وقلت من بين اسنانى فى غلظه :
-يبدوا اننى انا الذى سانبثق عليكم جميعا الان ..اسمعنى يا ابى ارجوك...
تعالت الصيحات المعترضه من اصحاب ابى ..
-شاب عاق ..
-فتى اهوج ..
-ارعن ..
-ابلج ..
-افلج ..
- .....
صرخت فيهم بكل ما يعتمل فى نفسى من ثوره :
-اخرسوا قليلا ...
ضحك ابى ضحكة مفتعله وهو يقول محاولا تهدئة الجو :
-يا شباب ولدى عماد لديه مشكله على ما يبدوا وانها تؤثر على اعصابه ..لذا فقد لجا لى ....لكى ارشده ..اهدا يا ولدى العزيز ..

والتقط انفاسك المبعثره ..هل تحب ان تسمع اخر نكته ..؟

-لاااا ...

-حسنن ..مرة واحد ....

-قلت لاااااااااااااااا ...

لكمنى ابى فى كتفى مداعبا وهو يقول :

-كنت امازحك ..قل ما لديك ..

اخيرا استطعت ان اتكلم ..ولما انتهيت من حكايه يومى الغير عادى

كان النعاس قد غلب شلة الموتى ورايت ابى يتثائب ثم يفرك عينيه قائلا :

-حكاية مؤثرة جدا ..

-واضح التاثير على شلة الانس ...وعلى حضرتك ...

-لكننى لا افهم ..ماعلاقتى بالموضوع ...

ابتلعت الصدمه ..ويبدو اننى تعودت على هذا ..قلت له فى غل :

-انت ابى ..ولم يعد لى غيرك ..

-خطا ..انت تنسى اننى ميت ..والموتى لا يعتمد عليهم ...

-اذن اطلب رأيك ...

-وهل ستعمل به ...

-جرب ...

عقد حاجبيه قائلا فى حزم :

-سلم نفسك ..

-يا سلام ...ليس وراء ذلك الا الموت ...

-اطمئن ..مكانك محفوظ الى جوارى ..هذا افضل ما يمكنك الحصول عليه حاليا ..لا تعذب نفسك كثيرا قبل ان تموت ..

ولا تحمل غيرك نتيجة اختيارك ..انت اردت هذا ..منذ البدايه .

اطرقت الى الارض مفكرا ..ثم رفعت وجهى تلقاء القمر الساطع وقلت

بصوت مختنق :

-انا لم اختر ان اموت ...

هنا دوت اصوات ابواق سيارات الشرطه ..تقترب من بعيد فاجفلت ناظرا تجاه باب المقبره الحديدى لأجد عم جابر قد استيقظ حاملا بندقيته العتيقه ووقف على الباب وقفة عسكريه مصوبا البندقيه تجاهى طبعا

وقال بصوته العجوز المشروخ :

-لقد اتصلت بهم ..يبدو اننى ساعتزل حياة المقابراخيرا بعد ان اقبض ثمن رأسك 100 ..الف ترالى..وسابدأ من جديد حياة اخرى بعيدا عن جو الموت القاتم ...

يبدو انها النهايه ...شعرت بالياس والاحباط يتغلغلان فى اماقى..وتمنيت لو كنت استسلمت من البدايه ..فقط ...لاحرم عم جابر الوغد من ان ينال المائة ترالى ...

كان ابى يقف عاقدا ساعديه وقد استيقظ رفاقه على صوت سيارات الشرطه ..كان واجما غير راضيا ..

-عماد ..لقد افسدت ليلتى تماما ...

ثم استدار الى رفاقه قائلا فى غلظه :

-الشرطه قادمه ..لو كان مع احدكم اى ممنوعات ...فليتخلص منها الان ..

هب الباشمهندس نسيم وهو يقلب فى اكفانه صائحا :

-كيف نتخلص منها ..

اشار ابى تجاهى قائلا بلا مبالاه :

-ضعوها عند عماد ..لن تزيد تهمة تعاطى المخدرات مصيره سوءا ...

نظرت لابى فى غيظ ..ثم الى اكوام الاكياس المحشوه بالممنوعات التى تكومت جوارى ..شئ ما بداخلى يدعونى الى الايذاء ..لابد ان اوذى احدهم والا مت كمدا ...واصوات سيارات الشرطه تقترب اكثر ..

كان ابى ورفاقه قد عادوا الى باطن الارض حيث جائوا ..ووقفت انا وعم جابر واكوام المخدرات ...

قلت لجابر وانا انظر الى الافق :

-هل تعرف عقوبة الاتجار فى المخدرات يا عم جابر ..؟

-لماذا تسال ..انت ميت ميت ...

-لان رجال الشرطه ..حينما ياتون ..لن يجدوا سوى كومة من لفائف

الممنوعات ..وشيخ عجوز سيقضى ايامه الباقيه فى السجن بتهمة بيع المخدرات للموتى ...

وقبل ان يفهم عم جابر شيئا مما قلت ..كنت قد وثبت عليه .. وامسكت

فوهة البندقيه بكفى ..ورفعتها عاليا ..وقبل ان يصرخ جابر العجوز مستغيثا ..اقتربت بوجهى من وجهه العجوز

وتاملت عينيه الزابلتين وقد شاع فيهما الرعب ثم نفخت فى وجهه فسقط

مغشيا عليه ..

تاملت جسد عم جابر المسجى على الارض الى جوار اكوام الممنوعات ..ثم قلت فى اشفاق مصطنع:

-وسقط عم جابر اثر جرعه زائده من مادة مخدره ..وكانت تلك هى نهايه امبراطوريه السموم بسقوط زعيمها عم جابر التربى ... قلتها ..ثم انطلقت بعيدا فى اتجاه معاكس لاتجاه اصوات الابواق المزعجه ...

وترامى الى سمعى اصوات رجال الشرطه وهم يقتحمون مقبرة ابى ..لكننى كنت قد ابتعدت ..لكننى لم اتوقف ..كانت السماء

ملبده بالغيوم
وسرعان ما شق لسان البرق كبد السماء ..تبا اين ذهب القمر ..
امطار غزيره ..اوحال ..اصوات رعد تصم اذناى ...
لقد تحولت قدماى الى كتلة من طين ..وصارت حركتى بطيئه ثقيله
لم اعد ارى بفعل ارتطام الامطار بوجهى ..امطار تسقط بميل ...
هنا تذكرت ...
))بالفعل بدات الامطار تهطل وتبلل النافذة وترتطم بوجهى ...
لكننى رفعت وجهى الى السماء وتاملت السحاب الثقال الذى يتخلله وميض البرق ..وتذكرت ..ان الدعاء
مستحب وقت المطر ..((..
بالفعل اتذكر .....
رفعت وجهى السماء ..وانا مغمض العينين ..وصحت بكل ما يعتمل فى نفسى
من هم و اسى وشجن واحباط وندم :
-يارب ..اريد ان اعود ...فقط ان اعود ...ولا شئ اخر ....
وجلست مرهقا متعبا وسط الاوحال ..وانا لا ادرى حقا ..
كيف ساعود ...؟

٥- إلى أيامك العادية

-عماد ..استيقظ...

مثل اى يوم ممل من ايامى ..افتح عيناى على صوت والدتى العتيدة وهى توقظنى

لاننى كالعادة لا اسمع صوت المنبه ..لكننى اصمم كل يوم على ضبطه ..

-كم الساعه ؟

سألتها بصوت لم تكتمل حيويته من اثر النوم ..فرأيت معالم جسدها فى الظلام

وهى تستدير لتغادر غرفتى قائله فى ملل :

-السادسه وخمسون دقيقه ..

من ثم اقوم انا بدفع الغطاء الدافئ عن جسدى وابدا يومى الذى لن يختلف كثيرا

عن ايامى السابقه .....

.....

.....

.....

***

قال لى اشرف فى سخرية وهو يرشف رشفة من كوب الشاى الاخضر ونحن جالسان على المقهى:

-مرحبا بعودتك يا بطل ...

كنت اتامل كوب الشاى الاخضر الموضوع امامى بثبات ..

-لقد كان درسا ...لن انساه ماحييت ...

-ولو اصبت بالملل مره اخرى ...

تناولت كوب الشاى الاخضر وادرته فى كفى كانى اتفحصه قائلا فى غموض:

-الملل يا صديقى ..نصنعه نحن ..بكامل ارادتنا ...

ثم القيت نظره الى خارج المقهى حيث يسير الماره مستطردا :

-ونقضى عليه فقط لو اردنا ...لقد كنت مخطئا ..حينما حسدت ابطال الافلام

على حياتهم المليئه بالمغامرات ..ونسيت انهم ممثلون ..ليست تلك هى حياتهم

ولوعاشوها حقا ..بما فيها من مخاطر ..لما شعروا بلذة المغامره

..فقط الرعب والخوف هو ما ينتظرهم ...وفقد الامن ..

والاستقرار ..انه احساس بشع ..

سوف احيا كما يحيا الناس ...اتزوج وانجب ..واشيخ واموت ..

قال أشرف مبتسماً :

وصرت فيلسوفاً كذلك ...

نظرت إليه في ثبات وقات ضاغطاً على حروف الكلمات :
صرت عاقلاً ...
عاقل وتفكر في الزواج ؟
لا تتعجب ...العقل يجعلك تتمتع أحياناً بروح التضحية والفداء ....
ثم اننى تناولت جهاز التحكم عن بعد ووجهته الى شاشة المرئى داخل المقهى
واخذت اقلب المحطات ...وفي النهاية تنهدت في حسرة ...ثم ضغطت زر الإغلاق وابتسمت قائلا لصديقى اشرف :
-جهاز بشع أليس كذلك ..؟
رفع احد حاجبيه وهو ينظر لى نظرة جانبيه قائلا فى لهجة ساخرة :
-لقد تغيرت كثيراً يا صديقي منذ أنقذتني من الإعدام ....
..ظللنا نضحك حتى دمعت اعيننا ..
نحن نبكى حينما نحزن ..فما الذى يمنعنا ان نبكى من الضحك كسرا للملل ..
ألستم معى فى هذا .....

ثوار اليوم طغاة الغد

مسرحية قصيرة مشتركة بيني وبين أحمد فتحي

١ – كتبه عمرو مصطفى

***

المشهد :(مركز قيادة احدى الثورات حيث يوجد اجتماع طارىء لاعضاء المجلس
للتشاور حول مصير الثورة وموعد انطلاقها فى الخلفيه شعارات معلقه
تدعو الى الديمقراطيه وحريه الابداع والرأى والرأى الاخر)

القائد : بسم المجلس نفتتح المجلس ..(وبصرامه).. اجلسوا كلكم .. (الكل يجلس بسرعه .. يبدأ الاجتماع)
القائد : لقد حانت اللحظه التى سيخرج فيها عصفور الديمقراطيه على عنقاء الديكتاتوريه البغيضه ..وسنشهد اليوم الذى ستتكلم الالسنه الخرساء بعد ان الجمها الخوف والرعب والفزع...
ثائر١: (بحماس) بالروح بالدم نفديك يا.....
القائد :(مقاطعا فى صرامه) ..كيف تسمح لنفسك بمقاطعه قائد الثورة
انت فاكرها ايه .. ثورة ..!! قصدى فوضى ..لا تتكلم الا عندما أذن
لك ..(ثم يعود لمخاطبه المجلس)..سنقاطع الدكتاتوريه البغيضه وستلهج السنتنا بالنقد اللاذع لها .. فعهد القمع ولى .. وأنقضى

وأتى عهد الحريات .. تكلم كما شئت .. اختلف كما تريد..
ثائر ٢: بعد أذن القائد ..ما هى الخطه التى سنسير عليها الايام المقبله ؟..
القائد : سؤال جميل .. وانا احب الاسئله الجميله والجريئه...انت قلت عاوز ايه يا ضنايا ..؟
ثائر ٢ : الخطه يا ريس ؟ ..
القائد : والله عال .. وكمان جالك قلب تكررها .... من امتى الخطط بيعرفها كل من هب ودب كده...
ثائر ٢: هو مش احنا اعضاء مجلس قيادة الثورة .. يعنى احنا الكل بالكل...
القائد :(يتطاير الزبد من شدقيه غضبا) ..هزلت .!! انا هنا الكل بالكل انتو فاهمين ..الخطط محدش يعرفها غيرى..
ثائر ١: وكيف سننفذها ونحن لا نعلمها...
القائد : مهى هى دى بقى الخطه .. احنا حنرتجل عارفين طبعا الارتجال..
ثائر ٣: طبعا يا ريس يعنى حنثور على رجلينا .. كعابى يعنى..
القائد: اهو علشان ذكائكم ده انا اصريت تكونو معايا فى مجلس الثورة .. ولازم يا اولاد نتحلى بروح الجماعه .. نتشاور مع بعضنا نختلف ..علشان نبقى صورة حيه للديمقراطيه...

ثائر ٣ : سؤال يا ريس...

القائد : اتفضل يا ابنى .. هو انا عندى اعز منكم..

ثائر ٣ : فى كلمه حضرتك بتكررها كتير اوى واحنا مش فاهمنها ومكسوفين نسألك .. هو يعنى ايه ديمقراطيه ؟!!!

القائد : الديمقراطيه يا ابنى هى احسن قطعيه فى اللحمه البتلو.. يعنى هغرقكم لحمه فى لحمه..

ثائر ٣ : خلاص يبقى شعارنا لحمه لحمه .. بدل ديمقراطيه...

القائد : لاء لاء .. انتو كده هتفتحوا عيون الناس علينا انا افضلها بالسيم .

ثائر٣ : انا بافضلها على ملوخيه ..

القائد : والله مش خسارة فيكم...

الجميع: (فى هتاف جماعى) .. ديمقراطيه .. ديمقراطيه .. على ملوخيه على ملوخيه....

(نهايه المشهد)

٢- كتبه أحمد فتحي

***

انتهي اجتماع مجلس الثوار الاحرار...و بدأ الثوار في الخروج متفرقين من مقرهم السري...

ثائر١ : ياااه يا ث٢(الرمز السري لثائر ٢) أد ايه ث٠ (الرمز السري لزعيم الثوار) دا عظيم

شفت لما شخت ازاي في ث١٢ لما حب يقاطعه؟

ثائر٢: طبعا يا بني ...مش زعيم...و ذو شخصية زعامية قوية..

و دا اللي اهله انه يبئ الزعيم

ثائر ١:فعلا الزعامة مبتجيش من فراغ

لازم يكون فيه فكر جرئ...و عقل راجح...و شخصية قوية

ثائر ٢: امال يا بني...انت لسه جديد علينا و مع ذلك نبرة صوتك مليانة اعجاب بالزعيم

ثائر ١: تعرف يا ث٢...انا اكتر حاجة حاببها في مجلسنا هي قوة الامال

ثائر٢: مش فاهم يا بني

ثائر١: ايوة...الامل في غد حر...الامل في عالم افضل...الامل في مكانة أعلي

ثائر٢ (مرتابا): تقصد ايه بمكانة اعلي دي؟

ثائر١(و نظرة غريبة قد بدأت تلتمع في عينيه)

تعرف ان الزعيم كتير اوي شجعني...و حمسني...ياما كلمني عن اعجابه بحماس الشباب اللي بمثله ليه...و عن رجاحه عقلي و شخصيتي القيادية اللي أهلتني أني اقود مجموعة الشباب الثائر الجدد..

ثائر ٢(و الرعب يكسو خلجاته): يا نهار مش فايت...هو الزعيم قالك كده؟....ربنا يستر عليك يا بني...

و بعدين شخصية ايه القيادية...و امال ايه ؟و زفت ايه بس ؟

ثائر١(و قد احتل الاستغراب كل ملامحه): فيه ايه بس يا ث٢؟....فاهمني...عمال تتلفت وراك ليه؟و بتتكلم كده ليه ؟ انا مش فاهم حاجة

ثائر ٢ (في عصبية): بلا تفهم بلا تتنيل...اقفل الموضوع دا ...و انسي كل الكلام الفارغ بتاع الشخصية القيادية و الزفتية البتنجانية...احنا مش محتاجينة ف حاجة...احنا الحمدلله عندنا اعظم و احلي زعيم في الدنيا كلها...ربنا يستر علينا يا رب...امشي يا بني و خلي النهارده يعدي

ثائر١ : في ايه بس فهمني...انا كل...

ثائر ٢(مقاطعا): بلا كل بلا جزء...اسكت يا بني الله لا يسيئك...و بكرة تفهم لوحدك زيي...أمشي..

يمشي ث١ مطرقا و مازالت جيوش الحيرة تواصل غزوها الضاري لجنبات نفسه بنجاح ساحق

(نهاية المشهد)

٣- كتبه عمرو مصطفى

***

المشهد (احد أوكار الثورة .. ثائر ١ معلق من رجليه الى سقف الحجرة القائد الاعلى للثورة يقف ممسكا بكرباج ويلوح به فى وجه ثائر ١متوعدا ويقف عدد لا بأس به من الثوار مترقبين ما يحدث ..)

القائد :الثائر يريد ان يقول كلمه.....

(لحظات صمت وثائر ١ يستجمع انفاسه)

ثائر ١ :(يأخذ شهيق طويل ثم يهتف) ..أنا حمااااااااااار ....أنا شخصيه انهزاميه أنا لا اصلح لقيادة مجموعه من الحشرات ..انا(دبلون) صنايع اصلا...

القائد : (ملوحا بالكرباج بلا مبالاه)..ليه ياأبنى الكلام الوحش اللى بتقوله على

نفسك ده ...انت خايف ليه هو حد ماسكلك عصايه..

ثائر ١ : (ينظر الى الكرباج فى رعب) ..ينقطع لسان اللى يقول حاجه ذى كده

القائد :(فى حده).. قصدك أيه يا ولد ..؟

ثائر ١: لا والله متفهمنيش غلط .. انا قصدى أن حضرتك بتعاملنا ذى اولادك وبتخاف علينا ولو قسيت علينا شويه .. بيبقى لمصلحتنا..

القائد : أعمل ايه بس ..هو قلبى الطيب اللى مودينى فى داهيه....
ثائر ١ : أيوا يا ريس هو قلبك الطيب ده اللى هيودينا كلنا فى داهيه..
القائد : بتقول ايه ؟ .....
ثائر ١ : قصدى يعنى لازم تقسو علينا شويه .. علشان نبقى رجاله ...
القائد : وعلشان كده .. هسيبك متعلق شويه .. (ينادى على احد الثوار..) مسرور... تعال هنا شويه...
(يأتى عملاق اصلع ويحمل سكين عملاق فى يده ويقف عند رأس ثائر ١ الذى نظر له فى رعب .. مسرور ينظر لثائر ١ نظرة ناريه ثم.. فجأة يخرج بصله من جيبه وأخذ يقطعها بالسكين جوار عين ثائر ١ الذى اخذ يصرخ والبصل يحرق عينيه)
ثائر ١ : بصل لاااااااء .. كفايه حرااام ...
القائد : دى احد وسائل التعذيب الفتاكه .. اتعلمتها من المرحومه أمى ده جزاء اى واحد يفتكر انه بقى حاجه مهمه فى الثورة.. انتو من غيرى متسووش .. أنا اللى لمتكم من على القهاوى.. يا صيع ..وعملت منكم ثوار .. وفى الاخر يجى كلب يعض الايد اللى اتمدت له..
ثائر ١ :كفاااايه ... مش قادر اتحمل البصل .. طب مفيش بصل اخضر...؟

القائد : انا علشان ابقى قائد اتحملت عذاب اشد من هذا بكثير..

ثائر ٢ : (يهمس فى أذن ثائر ٣)..عارف احيانا بيختلط الامر على..

هو احنا الثوار واللي بره هما الطغاة فعلاً .. ولا العكس ..؟

(نهايه المشهد)

٤ـ كتبه أحمد فتحي

***

المشهد (مكتب ث٢ الملاصق لحجرة القائد ث٠

ث١ يدخل مسرعا الي المكتب و هو يلهث)

ث٢ (يهب مفزوعا من خلف مكتبه) : بسم الله الرحمن الرحيم... في إيه يا بني ؟ مالك ؟

ث١ (لاهثا) : ث٢ انا جايلك في موضوع مهم

ث٢ : خير يا بني

ث١ : انت عارف انا بحبك أد ايه... و بشوف فيك والدي بالظبط.

ث٢ : دا شئ يشرفني يا بني انك تشوفني زي والدك

ث١ : طبعا زي والدي... ياما كان بيعلمنا قيمة الشجاعة و الرجولة لغاية لما امنا تدخل علينا فيبدأ يحفظنا أن من خاف سلم

ث٢ (و علامات الغباء ترتسم علي وجهه) : و دا مدح ولا ذم دا ؟

ث١ : مش دا المهم...المهم انك ادام الزعيم و من وراه كمان عارف إزاي تخاف و إزاي تسلم...و دا اللي انا محتاجلك فيه دلوقتي

ث٢(مرتعدا) : هيه المسألة فيها جناب الزعيم ؟ أنت يا بني متعلمتش لسه ؟

ث١ : لاااااااااااء أتعلمت كويس... و عشان كده أنا جتلك الأول أستشيركً قبل ما أعرض الموضوع علي الزعيم

ث٢ : موضوع إيه ؟

ث١: أنا نجحت في تجنيد إتنين من زملائي في الكلية عشان ينضموا للثوار الأحرار

ث٢: و دول إخترتهم بعناية

ث ١ : (راسما بإبهامه علامة (o.k)بعناية فائقة...هما زينا ثائريين علي النظام الحاكم الديكتاتوري المستبد الذي لا يقبل التيارات الفكرية المختلفة معه... الديكتاتورية التي ترفض الحوار.

ث٢ : هاييييييييييل ...دا الزعيم هيفرح بيك جدا...و كده هينسالك اللي انت عملته المرة اللي فاتت

ث١(فرحا) : يعني أدخلهم ليه

ث٢ : طبعا...(ثم يجذبه من كتفه و يهمس في أذنه): بس انا مقلتلكش حاجة

ينظر له ث١ في إستغراب و يهز رأسه في غير فهم

المشهد /مكتب الزعيم غاية الفخامة و الرفاهية ...و علي الحائط لوحة مكتوب عليها (الديموقراطية : إختلف معنا و تظل منا(يدخل ث١ و يدخل خلفه شابين في بداية العقد الثاني من العمر يرتديان جلبابين أبيضين).

ث٠ : تعالي يا ث١ يا بني ...إدخل....مالك متسمر جنب الباب كده ليه ؟

ث١ : مستني الإذن يا زعيم

ث٠: فيه حد برضة يا بني بيستأذن قبل ما يدخل علي والده ؟

ث١ (متحسسا مواضع كرباج الزعيم علي ظهره) : مش عارفين نعمل إيه في طيبة قلبك دي يا زعمنا و أبونا الروحي ...

ث٠ : (و علي وجهه سمات التواضع)

العفو يا بني ...دا واجبنا تجاه الجيل الصاعد...و الكوادر الواعدة أمثالك... اللي هيكون ليهم دور قيادي عظيييييييييييييييم في ثورتنا النضالية.

ث١(يهتف في رعب) : لاااااااااء ... قيادي مين ؟ دا أنا حمار و أعترفت بكده أدام الكل... القيادة ليها ناسها يا زعيمنا كلنا

ث٠ (ينظر في خبث) : يا بني بلاش تقلل من قيمة نفسك كده.

ث١ : انا مبقولش غير الحقيقة.

ث٠ : طب كنت جاي ليه يا حمار أنت و الجحشين اللي معاك دول؟

ث١ : الجحشين دول.. قصدي الإتنين دول

من الثوار زيينا يا زعيم...و جايبهم ليك عشان يقدموا فروض الولاء ليك و يقسم علي الطاعة العمياء لزعيمنا المفدي.

ث٠ : بارك الله فيكم يا أولادي...فأنا فداء لكم جميعا

ث١ : يالا يا ثوار ... قدموا فروض الولاء لزعيمنا و مخلصنا من عصور الديكتاتورية المستبدة.

فجأة يخرج الشابين دفين من تحت جلبابيهما و ينشدوا:

ياربنا ليس لنا من أمرنا إلا السكوت

يا ليتنا نرضى بما يعطي لنا حتي نموت

و المبتلي يا ذا العلا لا يبتغي إلا النجاة

في عسرها و يسرها ملعونة تلك الحياة

لا نستطيع ألا نطيع أميرنا فيما يراه

به نقتدي و نهتدي

فرضاه من رضى الإله

ث٠(فاقعا بالصوت الحياني) : يا

لهويتيي

ييييييي

و يسقط مغشيا عليه.

(نهاية المشهد)

٥- كتبه عمرو مصطفى

***

المشهد : (يفتح الستار على فريق الدفوف الأبيض وهو مستمر في العزف والإنشاد وثائر ١ يدور حول جسد الزعيم بالمبخرة والزعيم ينتفض كالممسوس ثم يدخل ثائر ٢ ليقطع الإنشاد)

ثائر ٢ : (في ذعر) .. عملتوا أيه في الزعيم ...؟

ثائر ١ : (وهو مستمر في الدوران حول الزعيم بالمبخرة) .. متقلقش .. عليه كام عفريت كده بنطلعه ..

ثائر ٢ : أنت اتجننت .. في حد يعمل كده في الزعيم .. (يحاول إفاقة الزعيم)

ثائر ١ : سيبه متقربلوش .. ده طلع عليه عفريت والعياذ بالله شيوعي .. (يشير لفريق الدفوف)

الإخوة بارك الله فيهم هيطلعوه حالاً ..

الأخ ١ : (وهو يهز رأسه يميناً وشمالا) بعون الله حنخلصه من الجن الشيوعي اللى لابسه .. هاتولنا بس حلة ميه سخنة ...

ثائر ٢ : أنتوا حتولدوه ولا ايه ... ؟!

الأخ ٢ : بلاش لماضة .. هاتو حلة ميه سخنة علشان ننقعه فيها ونخلص ..

ثائر ٢ : (يجذب ثائر ١ بعيداً عن المعمعة ليكلمه) .. إيه اللى عملته ده .. الزعيم لو فاق دلوقتي حيسود عيشتنا ..

ثائر ١ : متخافش الأخوة عارفين بيعملوا إيه .. الحمد لله إن ربنا الهمني علشان
اكون سبب في إنقاذ الثورة ..
ثائر ٢ : ازاي يا فالح ...
ثائر ١ : الثورة بتاعتنا كان ناقصها اهم حاجة .. سيبك من الأكل والشرب
والديمقراطية .. في حاجة أهم .. ممكن تدعم ثورتنا قدام الشعب .. وتخليه ينخ
ويجي على ملا وشه....
ثائر٢ : إيه حنعمله عمل.. ؟
ثائر ١ : لاااااء .. ركز معايا .. الحاجة دي هي الدين يا معلم .. لازم ثورتنا تستمد
شرعيتها من الإسلام .. علشان كده جبت الإخوة يعملوا جو للثورة .. بس
للأسف الزعيم أول ما شافهم جاله صرع .. الإخوة قالوا عليه جني شيوعي كافر .. وهو اللى كان السبب في عصبية الزعيم وهو اللى كان السبب في بعد الثورة عن روح الإسلام .. إن شاء الله يطلعوا الجني الشيوعي .. ونحطله بداله جني مؤمن وموحد بالله .. وابقى أتفرج عليه بعد كده بالسيستم الجديد ..
ثائر ٢ : أنا مش مطمن للجماعة دول .. وخايف على الزعيم ..

ثائر ١ : مصلحة الثورة فوق مصلحة الأشخاص ...

ثائر ٢ : انا حاسس إننا كده زى ما يكون بنعمل إنقلاب على الزعيم ..

ثائر ١ : ابداً ابداً .. احنا بس بنصحح المسار ..

الأخ ١ : (يقطع حوار الثائرين صائحاً) ياخوووونا ياخوووونا .. الميه السخنة ياخوونا ياخوووونا .....

(ثائر٢ يذهب بسرعة لإحضار الماء على حين يقترب ثائر١ من ضاربي الدفوف)

ثائر ١ : (في شغف) إيه الأخبار ..

الأخ ١ : الجني اللى عليه جامد ..

ثائر ١ : أنا كان قلبي حاسس من الأول يا سعاد ..أأ.. قصدي يا أخي .. المهم في أمل يعني ..؟

الأخ ١ : (في صوت حزين وعميق) خلي أملك فى الله كبيييير ..

ثائر ١ : (ينفجر باكياً) الله يرحمه والله كان حنين .. والله ما كان مخلينا عاوزين حاجـــ.....

الأخ ١ : (يقاطعه) الراجل لسه مماتش .. حرام عليك ..(يلتفت إلى جسد الزعيم)

هو لسه شاف حاجة .. صبرك بالله...

الأخ ٢ : (يميل على أذن الزعيم) اتكلم .. قول أنت مييين ....

الزعيم : (يفتح عينيه في صعوبه ثم يتكلم بصوت عميق) .. أنا ..

أنا جيفارا

الأخ ٢ : (في غضب) انت لسه عندك يا ملعون .. فين الميه السخنة..

(يدخل ثائر ٢ حاملا دلو به ماء ساخن ويناوله للأخ ٢)

الاخ ٢ : إيه ده .. جردل.. انا قلت حلة ...

ثائر ٢ : أنا قلت الحلة مش حتنفع معاكم اصلاً لأنها مؤنثة والجردل مذكر ولا ايه يا أخ ..؟

الأخ ٢ : (يسكب الماء الساخن على الزعيم .. فينتفض صارخاً و الأخ١ يكبل حركته)

الأخ ١ : (صارخاً) أخرج يا ملعون .. (يضرب وجه الزعيم بكفه) انت لسه عندك

انطق انت مين ..؟

الزعيم : (يتمتم كالمحموم) أنا .... أنا شفيقة القبطية ...

الاخ ١ : الحمد لله .. طهور إن شاء الله...

ثائر ٢ : بيقولك شفيقة القبطية ..

الأخ ١ : إحنا كنا فين وبقينا فين .. دكها ملحد .. ودي من أهل الكتاب ..

ثائر ٢ : وحيأسلم أمتى بقى علشان نخلص ...

الأخ ١ : أصبر يا مؤمن ... هاتولنا كرباج ...

ثائر ١ : (يخرج عصا الزعيم ويلوح بها في سعادة) تنفع دي ..؟

الأخ ١ : دي عصا مؤنثة يعني ...
ثائر ١ : بس كده ..(يخرج مطواه ويبدأ في بري مقدمة العصا حتى جعلها مدببة كالرمح ثم نظر إليها في أنتصار قائلا) كده بقت خابور مذكر سالم) .. يشير للزعيم في إستمتاع) ممكن انول انا الشرف ده ... ؟
(نهاية المشهد)

٦- كتبه أحمد فتحي

***

المشهد/ قاعة

الإجتماعات و

مشهد مكرر ل(ث١) معلقا إلي السقف و في الخلفية لوحة كبيرة مكتوب عليها (الديموقراطية: الرأي و الرأي الأخر.)

الزعيم (ملوحا بسوطه): أنا ياض عليا عفريت جيفارا؟...أنا ياض شفيقة القبطية؟...طب أنا بئ هوريك شغل عفريت (الماركيز دي ساد) لما بيحضر.

ث١(صارخا) : لاااااااء....إلا (دي ساد) ....دا راجل شراني و أنا عارفة...

ث٦(هامسا ل ث٧) : مين المراكيز ستات دا كمان ؟

ث٧:شششششششت... دا اللي عامل الجزء السابع من (راجل و ست ستات.(

ث٦: آاااه....دا اللي جايبينه مكان رمزي الغبي؟

ث٧ : أيون....أهو هو دا...يا (رمزي) باشا.

الزعيم : من منطلقنا حرية الإختيار اللي بعملكوم بيها....إختار يا بني العفريت اللي يناسبك... دي ساد ولا هيملر و لا كاليجولا؟؟؟ أنا عامل ليك كوليكشن ممتاز من أفضل عفاريتي.

ث١: ممكن أخد رأي الإخوة؟...هما بردة أدري مني بشغل العفاريت دا.

الزعيم: إخوة مين ياض؟... الإخوة حضروا العفاريت...و أنا بئ اللي هصرفهم.

يدخل(ث٠) مسرعا و يميل علي الزعيم هامسا..

ث٠: كله تمام يا زعيم...الإخوة إتسلموا تسليم أهالي في أمن الدولة...و كمان الخابور اللي كانوا مجهزينوا يصرفوا بيه عفاريت جنابك بئ ف إيد أمينة دلوقتي.

الزعيم: و أمينة تاخد خابوري ليه؟...قلت خوابير ف البلد يعني ؟.

ث٠: ما تفهم يا عم الزعيم...أنا قصدي إني أمن الدولة المسئول...و هو دلوقتي بيصرف عفاريت الإخوة و الجماعة كلهم لظابط قدمت الخابور هدية.

الزعيم: مش خسارة فيهم و الله...و لو أني كنت شايلة لواحد عزيز عليا قوي(ناظرا ل ث١).

ث١: يا زعيمنا يعني هو دا جزاء المعروف؟...أنا كنت جايب الإخوة تدعيما لروح ثورتنا الطاهرة...و لصبغ الثورة بالصبغة الشرعية أمام الشعب...

و الإخوة وجدوا _من خلال كلامي_ في ثورتنا متنفسا لهم من الديكتاتورية الحاكمة التي لا تقبل الرأي الأخر.

الزعيم (محدثا نفسه): الواد فاهم و هيتعبني معاه.
ثم مكملا بصوت عال جهوري و كأنه يخطب في المجتمعين من الثوار.
: ثورتنا الطاهرة الحرة لن تستند علي أيدولوجيات و راديكاليات دينية...فنحن في سعينا لتحقيق الديموقراطية و تحطيم قيود الديكتاتورية البغيضة نسعي لترسيخ مبادئ المواطنة.
تضج القاعة بالتصفيق و الهتاف للزعيم...
و حتي (ث١) المعلق يهتف : عاش الزعيم ...زعيم المواطنة و كل المواطنين..
الثوار : عاش عاش عاش.
ث٦(هامسا لث٧ أثناء الهتاف): مين بئ (أم بطة)دي كمان ؟
ث٧ :شششششششششششششششششت... باااااااس...إلا دي...
دي الجو بتاع الزعيم.
يهز (ث٦) رأسه في فهم...ثم ينظر للزعيم قائلا بصوت خفيض: يسهله يا عم الزعيم.

نهاية المشهد.

٧- كتبه عمرو مصطفى

***

المشهد : (المقر السري لجماعة التفجير والنور – ١٥ شارع البطل أحمد عبد العزيز المهندسين – أمير الجماعة جالس على وسادة مستديرة وإلى جواره ثلاثة إخوة في الجماعة)

الأمير : مفيش أخبار عن الأخوة اللي اتمسكوا في سبيل الله ..؟

أخ ٣ : الإخوة صامدين بحول الله وقوته في وجه الطاغوت ... ربنا يثبتهم.. (ثم يقول فى أسى) يا ريتني كنت معاااااهم ...

بقية الإخوة : (في صوت واحد كورالي) يا ريتنا كنا معاااااهم ....

الأمير : (ينظر لهم في أسف عميق) يا ريتكم كنتوا معاهم ..أأ قصدي .. كلنا كان نفسنا نبقى مع الإخوة الله يثبتهم .. لكن لازم تعرفوا ..(يشير إليهم بالسبابة) ان كل واحد مننا له يووووم ..أي والله ... ليه يووووم .... وعلشان كده .. لازم نستعد لليوم الأسود ده .. وأنا بعت اجيب من بره أحدث وسائل التعذيب اللى وصلها الطواغيت ..لييييه ... هجربها كلها فيكم إن شاء الله ... علشان تتعودو عليها عملي .. لحد ما يجي اليوم الموعود ويتقبض عليكم إن شاء الله ...

أخ٤ : والإخوة اللى اتمسكوا يا امير .. مش هننتقم لهم .. ونشفي غليلنا من اللي بلغ عنهم ...

الامير : مهو علشان كده انا جمعتكم الليلة .. (يرفع يده منادياً) أدخلوا الضيف..

(ينظر الإخوة إلى باب المقر السري في فضول .. ثم يدخل ثائر ١)

ثائر ١ : السلام عليكم ...

الأمير : (يشير له كي يجلس) وعليكم السلام .. إجلس يا فتى

(ثائر ١ يجلس والأمير يستطرد) أحب أعرفكم بالأخ الجديد .. الأخ ثائر ١..

أخ ٣ : (في إشمئزاز) وده أسم تقابل بيه ربنا..

ثائر ١ : مش أحسن من أخ ٣ .. بالذمة في بني أدم أسمه أخ٣ .. مكانوا يسموك أي ٣ أحسن (ثم يهز رأسه فى أسف) والله مؤلفين عاوزين الحرق .. خلو اللى يسوى واللى ميسواش يتكلموا معانا ...

الأمير : (يضرب بكفه على فخذيه) الحمد لله إن مفيش في الرواية أمراء تانيييين .. كان زمان شكلي بقى عره دلوقت ... المهم .. نرجع للموضووووع .. أخوكم ثائر ١ هو اللى حيدلنا على مكان المفسد ابن المفسد .. والمجرم ابن المجرم اللى بلغ عن إخوانا البواسل ...

ثائر ١ : أنا فدى الإسلام وجماعة الإسلام .. هى دي الثورة الإسلامية بحق فين ايام الثورة بتاعة زماااان ..الله يرحمك يا عم سيد .....

الأمير : عم سيد مين ..؟

ثائر ١: ده واحد بيصلح مرواح عندنا في الحته ....متشغلش بالك انت...

الامير : (يهز راسه في عدم فهم ثم يستطرد) الأخ الجديد .. كان منضم لجماعة شيوعية والعياذ بالله...

الأخوة الثلاثة : (في صوت واحد) أعوذ بالله..

الامير : (يكمل) لكنه الحمد لله تاب واناب..

الثلاثة : (بصوت واحد) الحمد لله..

الأمير) : يكمل) وقرر ينضم لينا..

الثلاثة : (في صوت واحد) لا حول ولا قوة إلا بالله...

الأمير : (يكمل) قرر ينضم لينا بعد ماعرف إن زعيم التنظيم الشيوعي هو اللي بلغ عن الإخوة ...

ثائر١ : مش بس كده انا مستعد أوصلكم لحد مقره السري علشان تنتقموا منه شر أنتقام ...

الأخ ٣ : وليه متكونش مدسوس علينا من أمن الدولة ...

ثائر١ : هو ليه الأخ مش طايقني من أول القعدة .. والله لو وجودي مضايقة خلاص .. يتفضل يسيب القعدة..

أخ٣ : (في سماجة) اسيب القعدة واروح فين ...؟

ثائر١ : روح الجهاد .. روح أي حته أنتم أكتر من الهم عالقلب...

أخ ٥ : هدوء في حضرة الأمير ..

ثائر ١ : (للأمير) عفواً يا أمير .. بس أنا مش جاي أضيع وقتي...
الأمير : متاخذش الأخ ٣ .. هو شكاك حبتين .. لكن متقلقش ..
انا هنا اللى اقول مين معانا ومين ضدنا .. الأمير هو الكل بالكل..
ثائر١ : نعم يابا الحاج ...(يشير للإخوة) أمال دول إيه .. علب جبنة..
الأمير : أنا عليا الأمر وعليهم الطاعة .. طاعة عمياااء ..
جمعاااااء..
ثائر ١ : (يلطم خده) انا اللى شكلي حقول واااااااء...
الأمير : (يمد يده لثائر ١) بايعني على السمع والطاعة ...(ينتظر ثائر١ ليمد يده إليه مبايعاً)
ثائر ١ : (يمتقع وجهه وهو يغمغم) بقى انا اطلع من نقرة أقع فى دحديرة .. (ينظر للأمير في إضطراب) لا مؤاخذة يا مولانا .. مش هقدر ابايعك....
الأمير : ليه ..؟ !!
ثائر١ : أصلي متوضي !!..

نهاية المشهد

٨- كتبه أحمد فتحي

***

المشهد : مكتب الزعيم و قد جلس الزعيم و ث٢ علي أرضية المكتب أمام بللورة تشبة (بللورات السحرة في قصص والت ديزني) و قد إمتلأ المكتب بالدخان من مبخرة علي الأرضية بجانب البللورة، و علي الجدارن خلف مكتب الزعيم لوحة كبيرة كتب عليها (العلم هو مفتاح التقدم و الرقي.)

ث٢: حاييييييييييي...إظهر و بان يا (حبهان) و قول المستخبي و الـ(مستبان)

الزعيم متسئلا في دهشة : (مستبان) إيه دا كمان ؟ يا شحات يا جعان ؟

ث٢ و هو يطوح رأسه يمينا و يسارا : حيييييي...دا لزوم القافية يا زعيم.

الزعيم: طب قول بسرعة يا ابن اللئيم.

ث٢: جائني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد أن.....

الزعيم مقاطعا: ما تسيبك من جو ألف ليلة و ليلة يا عم (شهرزاد) إنت ...و إقرا الطالع.

ث٢(و قد إغتاظ من أن الزعيم قد أخرجه من الدور الذي كان يؤديه): ث١ يا زعيم قعد مع حبايبنا البعدة.

الزعيم : مين ؟ أمن الدولة ؟
ث٢: يا ريت.
الزعيم: أمال مين ؟
ث٢: قعد مع ثوار الدقون.
يصمت الزعيم مفكرا و يغلف الصمت أجواء المكتب إلا من صوت قرقعة البخور في المبخرة.
الزعيم (بعد برهة): إنت متأكد يا ث٢ ؟
ث٢: طب و أنا هكدب ليه يا زعيم؟
الزعيم:عشان ترجع تبئ ث١ مرة تانية.
ث٢ ينظر للزعيم: صدقني يا زعيمنا...أنا نفسي مش عايز أبئ ث١...ولا عمري فكرت أكون زعيم.
ينظر له الزعيم و قد إتسعت عيناه في غضب يكاد اللهب أن يخرج منها.
ث٢_مستطردا في سرعة_: و دا المفروض شئ يطمنك يا زعيمنا...أنا ماينفعش أبقي في تحت دايرة الضوء
حتي دور الرجل الثاني ماينفعنيش.
يصمت قليلا ثم يستطرد في مرارة واضحة : يكفيني أكون في شرف خدمتك و خدمة ثورتنا الطاهرة.
الزعيم: كويس إنك فاكر لسه مركزك و دورك يا ث٢.
ث٢: و ما ينفعش أنسي يا زعيم...بس أنا قلقان علي الثورة من

أمثال ث١) الثائرين) و (المتحمسين) دول حتي إني بسأل نفسي علي طول (لية الزعيم صابر علي ث١ دا ؟)

ينهض الزعيم و يتجة إلي الشباك الوحيد الموجود بالغرفة و ينظر من خلف زجاجها علي الشارع.

الزعيم(و كأنما يحادث نفسه): يمكن لأنه بيفكرني بشبابي...أيام الفوران و الحماس و الثورة الحقيقية، و يمكن علشان بيفكرني بأبوة أيام ما كنا إيد واحدة ضد أي ظلم بنحسه...

ياما اتبهدلنا و اتحبسنا و فكرنا سوا.ياااه كانت أيام.

ث٢: أبو ث١ كان ثاير هو كمان ؟

الزعيم: ماكنش مجرد ثاير...دا كان زعيم.

ث٢: و إيه اللي حصل.

الزعيم: عينيه إتفتحت علي الحقيقة.

ث٢: الحقيقة؟...حقيقة إيه؟

إلتفت إليه الزعيم و في عينيه نظرات الوعيد : مش شغلك...المهم إنه إنفتح مع الإنفتاحيين ...و بقي من أكبر تجار الأدوات الصحية ف البلد.بقي إمبراطورية رأسمالية.

ث٢(في خبث): أه إمبراطورية رأسمالية...يعني ث١ ممول رئيسي للثورة ؟

الزعيم: مش بس دا السبب اللي مخليني باقي عليه_و إن كان دا من الأسباب القوية_...بس أنا ذكرت أسباب تانية...

ث٢: طب و هتعمل إيه يا زعيم مع ث١ بعد ما راح للحبايب.
الزعيم: سيبه...أنا متأكد إنه هايرجع...أما هما فليهم معايا تصرف تاني.
يدور الزعيم في الغرفة عاقدا ذراعيه خلف ظهره...
الزعيم: تعرف إيه اللي ناقص ث١ و الثوار الشباب اللي زيه معانا؟
ث٢ : إيه يا زعيم؟
الزعيم: الثوار ناقصهم ثورة...هما بيسمعوا الخطب الرنانة بس لسه ماشفوش ثورة...و هو دا اللي لازم يلقوه ف الفترة اللي جايه.
دا اللي هيخلي ث١ و اللي زيه يلتفوا حولينا مرة تانية.
و طبعا إنت عارف إن أنا أحسن واحد يقدملهم اللي بيتمنوه.
ث٢ ضاحكا: أكيد يا زعيم...أمال بئيت زعيم إزاي.
يعرف الزعيم رأسه في نشوة و ترتسم إبتسامة ثقة علي شفتيه.
ثم يجلس علي الأرض مسرعا و كأنما تذكر أمرا هام
الزعيم في لهفة : المهم دلوقتي...شوف لنا في البللورة دي المدام طبخلنا إيه النهاردة؟...ولا أتعشي برة قبل ما أروح؟
ث٢ : حاييييييييي يا إظهر و بان يا (حبهان)...قولنا النهاردة فراخ ولا بتنجان؟....
نهاية المشهد

٩- كتبه عمرو مصطفى

***

المشهد : (المقر السري لجماعة الأخوات الطف الكائنات ١٦ شارع البطل أحمد عبد العزيز المهندسين.. خمس أخوات متشحات بالسواد سافري الوجوه فيما عدا واحدة منتقبة- امام كل واحدة حلة ضخمة الومنيوم)

الأخت الزعيمة : بسم الله نفتتح الجلسة .. (تقوم كل اخت بكشف غطاء الحلة التي أمامها..الزعيمة تشير للأخت١) عندنا ايه النهاردة في جدول الدروس ؟

الأخت ١ : عندنا تجويد .. ونحو ..و ..وعندنا محشي ورق عنب .. ومحشي كرنب ...

الزعيمة : عال عال .. أنا بموت فمحشي ورق العنب والكرنب .. بس النهاردة

هنتعلم ازاي نحشي المحشي على الطريقة الأسلامية... يلا يا أخوات..

كل واحدة تمسك لفة ورق العنب بايدها اليمين .. وتمسك رز الحشو بايدها اليمين برضه .. وتروح حطه الحشو اللي في ايدها اليمين في يمين لفة ورق العنب اللي في ايدها اليمين .. وربنا يجعلنا من أهل اليمين..

قولوا أمين...

الأخوات : (في صوت واحد ماعدا المنتقبة) أمين...

الزعيمة : يارب انصرنا على اليهود ومن عاونهم...

الأخوات :(ماعدا المنتقبة) أمين...

الزعيمة : يارب دمر اليهود المغتصبين .. وعليك بالصين الكافرين...

الأخوات:(ماعدا المنتقبة) أمين....

الزعيمة : يارب دمر اليهود الملاعيين .. وعليك بالروس ولاد المجانين...

الأخوات: (ماعدا المنتقبة) أمين..

الزعيمة : يارب احرق المسلمين المتخاذلين والمثبطين...

الأخوات : (ماعدا المنتقبة) أمين...

الزعيمة : بس وتروحوا بارمين صباع المحشي كده بايديكم اليمين وتحطوه في الحلة الملامييين...

الاخوات : (ماعدا المنتقبة) أمييييين..

الزعيمة : (للمنتقبة) انتى يا اخت.. مبتقوليش أمين ليه ..؟

المنتقبة : (تهز رأسها بمعنى لا)

الزعيمة : (في دهشة) مالك يا شابة .. أنت خرسا ولا أيه..

المنتقبة : (تهز رأسها بمعنى نعم)

الزعيمة : لا حول ولا قوة إلا بالله .. أنتي أول مرة تحضري أجتماعات ؟

المنتقبة : (تهز رأسها بمعنى لا)
الزعيمة : امال مالك قافلة على نفسك ليه .. محدش غريب .. اكشفي وشك..
المنتقبة : (تهز رأسها بعنف بمعنى لا..)
الزعيمة : مالك يا أخت .. انت مكسوفه ولا إيه ... (المنتقبة تهز رأسها في حياء بمعنى نعم .. الزعيمة تكمل)انا محدش ينكسف عندي هنا .. كلنا خلعنا برقع الحياء من زماااان .. (ثم تلتفت للأخوات) ولا إيه يا نسوان ...(ثم تعود لتمد يدها وتكشف وجه المنتقبة ثم تصرخ في جزع) رااااااجل ....
(يظهر وجه ثائر١ من تحت النقاب وهو يتلفت حوله في رعب .. الأخوات يصرخن وكل واحدة تغطي وجهها)
ثائر١ : محدش يفهمني غلط .. أنا غرضي شريف والله ..بس تصدقوا شكلكم في النقاب أحلى...
الزعيمة : (في ثورة) غرضك شريف .. أنت وقعتك سودا ...(تصرخ في الأخوات) نسوااان .. هجوووووووووم...
(الأخوات يهجمن على ثائر١ وينهلن عليه ضرباً بقسوة وعنف)
ثائر١ : (يحاول المقاومة)لاء حرام عليكم...انتم معندكمش أخوات ثوار ولا إيه..؟ أي ... إحنا فينا من العض..يا ولاد المفجوعة... انا فعرض الزعيمة...
الزعيمة : (في حزم) باااااس ... سيبوهولي... (تجذبه في عنف

إليها) طلع اللي في جيوبك ياض ...
ثائر ١ : أنت عارفه الإسدال مفهوش جيوب يا أختي ...
الزعيمة : (تهزه في عنف) طب اطلعلي بره الإسدال ياض...
ثائر ١ : انا نفسي اطلع والله بس مش عارف .. الحيوان اللي دخلني مقليش أطلع ازاي ...
الزعيمة : يبقى انت اللي جبته لنفسك .. (للأخوات)نسواااااان سلاح...
(تتصاعد الصيحات القتالية من الحناجر النسائية مع التلويح بالنعال)
ثائر ١ : (وهو ينظر للأخوات في رعب)لا أنا فعرضك .. بلاش الهنود الحمر..
الزعيمة : يبقى تتكلم وتقول ..مين اللي بعتك هنا ..؟
ثائر ١ : محدش بعتني .. أنا جيت من نفسي .. صراحة انا غلبت .. وواقع فعرضكم.. انتم أملي الوحيد ... انا لفيتها من شرقها لغربها .. بحلم بالثورة اللي توحد الناس ضد الظلم والطغيان .. انضميت للزعيم اليساري .. لقيته دكتاتور ميفرقش حاجه عن الطغاة الأصليين .. رحت لسمو الأمير اللي فالعقار اللي قبلكم على طول ..طلع نسخة من الزعيم بس بدقن ... أقولكم الحق .. أنا اتعقدت من الرجالة ... قطعت الرجالة وسنينها....
الزعيمة : بتقول انك رحت لأمير الجماعة بتاع العقار ١٥ .... ؟

ثائر ١ : أيوا يا فندم ... ده طلع مقلب....
الزعيمة : (تدفعه في صدره) احترم نفسك ...
ثائر ١ : أحنا حنتعصب ولا إيه ... علشان إخوة وأخوات ..
الزعيمة : لاء ... علشان الأمير ده يبقى جوزي ....
ثائر ١ : (بتلقائية) والله أجدع راجل قابلته لحد دلوقت .. أخ بس أخ يعني...(ينظر للزعيمة في ترقب)الحمد لله كلنا إخوة .. والحمد لله.. إخوة وأخوات ياسلام على الأخوات... هو كلكم راضعين على بعض ولا إيه ..؟
الزعيمة : (في شرود) هو مش جوزي بالظبط يعني....
ثائر ١ : نعم يا أبلتي ... يعني إيه مش جوزك بالظبط ..؟
الزعيمة : قصدي كان جوزي .. أصله طلقني ..
ثائر ١ : أنا من أول ما شفته .. قلت عليه واااطي ... وعلى رأي المثل يا مأمنه للرجال يامأمنه للشوربة في الفنجان..
(الزعيمة تنفجر في البكاء و ثائر ١ يتراجع مندهشاً لبكائها المفاجئ) لا حول ولا قوة إلا بالله ... والله ميستهلش دمعة واحدة من دموعك.. ده مكنش مقدر الجوهرة المجنونة ..أأ.. قصدي المكنونة اللي كانت معاه ..
الزعيمة : (وهي تنهنه) كلكم زى بعض .. بدقون من غير دقون كلكم صنف واحد ...
ثائر ١ : لا حضرتك أنا صنف لسه جديد طازة .. انسي كل الرجالة

اللي شفتيهم قبل كده .. أنا ربنا بعتني ليكم .. علشان أدلكم على الطريق..

الزعيمة : (تتمخط)طريق مين يا خويا ...؟

ثائر١ : (تبرق عيناه) طريق الثورة .. طريق النور ... أنتم الأمل الأمل فيكم ياأخوات .. انتم اللي هتقودو الثورة ... وتبقو في الصفوف الأمامية علشان نخلص منكم بدري بدر....أأ .. قصدي علشان تلهبوا حماس الثوار .. الثائر من دول أول ما حيشوف نسوان في المقدمة ..على طول يروح راشق في المقدمة زي الرهوان .. الثورة كلها حتبقى مقدمة بس إن شاء الله .. مفيش ميمنة ولا ميسرة ولا قلب ... بس اسمعوا كلامي .. وحطو إيديكم في إيديا و ...(ترتفع همهمة معترضة من الأخوات) خلاص بلاش حكاية إيديكم في إيديا .. مانتوا هاريني ضرب من الصبح ..حبكت دلوقتي ... المهم .. تسمعوا كلامي كويس .. وتحطوه حلقة فى رجلكم...

نهاية المشهد..

(وإلى هنا توقف السباق بيني وبين صديق العمر)

يوم الاستقلال

(١)

توهجت المباني في ظلمة الليل لثوان، بعدها دوى انفجار مروع تناثر على إثره الشرر في كل حدب وصوب..

كان مصدر الوهج شعاع ليزر أطلقه طبق طائر من إياهم..

وكان أول الغيث، حيث ظل الطبق لدقائق يمطر المربع السكني بأشعة الليزر حتى تحول إلى خرابة ممتازة ..

لكن من بين الحطام برزت كف عبد الصمد ..

بعدها برزت ذراعه كلها وأزاحت بعض الركام لتسمح لرأسه بالخروج إلى الهواء .. مرحى يا عبد الصمد مازلت حياً رغم تحول منزلك إلى رماد..

ها هو ذا يزحف على بطنه بين الشظايا المحترقة بكل إصرار،

وحينما قرر أخيراً أن يقف معتمداً على كفيه اكتشف أنه لم يعد لديه رجلين!

لقد بتر نصفه السفلي..

لابد أن صدمة عصبية قد ألمت به إذ سرعان ما تهاوى بلا حراك.. وعاد السكون يغلف المربع السكني .. لا شيء سوى طقطقة ألسنة اللهب التي تلتهم ما بقي من أطلال البيوت .. وعاد الطبق الطائر ليدور دورة أخيرة مشرفاً على المحرقة ..

ووسط عاصفة من الغبار وفي رقعة خالية من الحطام، قرر الهبوط. لم يعد هناك أحياء في المربع فلا بأس إذن من استراحة محارب سريعة .. لكن للأسف حتى الأطباق الطائرة ترتكب الحماقات..

فمن قال أنه لا يوجد حياة هنا .. لقد ظهر خالد مرتدياً زي ناقل الجزيئات على بعد خطوة من الطبق الساكن ..ألصق قنبلة بجسم الطبق الأملس وصرخ:

- هذا من أجل عبد الصمد...

ثم حمل نصف عبد الصمد المتبقي واختفى في لحظة .. لقد انتقلت جزيئاته وتجمعت في مكان أخر..

وفي اللحظة التالية أطاح الانفجار بالطبق الطائر ودفعه ليرتطم بأطلال منزل قريب، ثم ارتد ودار حول محوره قبل أن يسكن أخيراً والدخان الأسود يتصاعد منه..

وعلى بعد عدة أمتار عاد خالد للظهور...
كان يتأمل الطبق الطائر المحطم بوجه جامد خالي من التعبيرات لكن بداخله تدافعت أحاسيس ومشاعر جارفة .. لأول مرة سيعود لمقر المقاومة برأس أحد الفضائيين الغزاة.. لقد أثبت الزي الناقل للجزيئات الذي حصل عليه مؤخراً من الإخوة الأمريكان كفاءة غير عادية .. كذلك القنبلة شديدة الانفجار فخر الصناعة الإسرائيلية . للأسف هذه السترات قليلة جداً وغالية جداً لذا لا يحصل عليها إلا عدد محدود فقط من قيادات المقاومة..
وبينما يتقدم خالد في حذر من حطام الطبق الطائر تداعت عليه ذكريات أيام خلت..
فلم تكن تلك أبداً هي بداية الأحداث..

***

قبل عدة أشهر، و قبل أن يحدث ما حدث للعالم..
كان خالد مجرد موظف حكومي من أولئك الذين يعودون لدارهم بعد الثانية ظهراً ليأكل وجبة خفيفة وينام حتى السادسة، ثم ينهض ليقف حتى الحادية عشرة في أحد محلات خدمات المحمول التي يملكها صديقه الوحيد عبد الصمد..
عبد الصمد متزوج ولديه طفلان لأنه سلك طريق الأعمال الحرة التي كان يجيدها بعكس خالد.. لذا استطاع أن يتزوج سريعاً وينجب أسرع.. المال يجعل الأمور تمضي بصورة أسرع وأفضل

كأفلام السينما.. بينما يشعر خالد أن الفقر قد حوله إلى سلحفاة ستصل إلى هدفها يوماً ما، بعد ألف عام.. ولو كان يملك عمراً كالسلحفاة لما اكترث، لكنه يعلم أن الحياة قصيرة وستمضي سريعاً.. ويوماً ما سيصير موظفاً على المعاش يتحسر على المرتب الذي كان ثم صار.. إلى أن يحمل لقب مرحوم .. هكذا مضى والده وجده من قبل.. الأمر هنا حتمي كالقدر..

بالرغم من ذلك كان خالد من أولئك الشباب ذوي الطموح العالي..

كان يطمح أن يتزوج من نجلاء جارته في الحي ويكون أسرة.. الزواج في هذا العصر يعد خطوة جريئة تعادل خطوة اتخاذ قرارات الحرب المصيرية.. لذا فهو بحاجة لإعداد ودراسة جيدة قبل كل شيء.. هو يعرف أن والد نجلاء لن يرفضه، بل هو ينتظر اليوم الذي سيتقدم فيه للخطبة.. إنهم جيران وكانت هناك علاقة أخوية تجمع بين والده الراحل ووالد نجلاء.. علاقة أخوية من النوع الذي يجعل الأبوان يتفقان على أن الولد للبنت وهما مازالا بعد في مرحلة الرضاع. لكن الهاجس الذي يسيطر على خالد لحد الرعب، هو أن يتقدم لخطبة نجلاء، من ثم يبدأ والدها في وضع النقاط على الحروف.. سيكون لديك في المتوسط عام ونصف مهلة لتكون مستعداً لإتمام الزواج.. فهل ستكون مستعداً؟ هل ستكون رجلاً عند كلمتك أمام والد نجلاء أم.. أم الأخرى يتقلص لها

أحشائه، لذا يضطر لتأجل قرار الخطبة المصيري.. صحيح أن لديه شقة إيجار ورثها بعد وفاة والديه وزواج إخوته وتفرقهم في البلدان.. لكن من قال أن الشقة هي كل شيء؟

ومن الذي قال أن عم شوقي صاحب العقار سيتركه يتزوج وينجب بدون مضايقات؟.. مشاكل شقق الإيجار القديم هذه لا تنتهي.

طبعاً هناك العشم والجيرة وعظام التربة، عوامل كثيرة يعتمد عليها خالد بعد الله سبحانه وتعالى كي يتركه عم شوقي وشأنه.. لكنه يعلم أن الأخير لديه ثلاث فتيات في سن الزواج، وطبعاً قرارا زواج خالد من نجلاء سيطير العشم، وسيسحق أخر عظمة من عظام التربة.. مع ذلك لم يكف خالد عن الطموح عالياً، وكل يوم كان يقف في شرفة مسكنه، ويرفع طرفه للسماء كأنما ينتظر أن تهوى عليه ثروة تحل كل مشاكله، أو صخرة تريحه من محاولات البحث عن حلول..

وكان دائماً يحدث نفسه مشجعاً بأن الغد سيكون أفضل.. كل المؤشرات تقول هذا فلا تبتئس يا فتى!.

المؤشرات المحلية والعالمية تقول هذا بكل وضوح فلماذا يصاب الناس بالاكتئاب هكذا بدون سبب مقنع؟! لماذا لا نطمح في غد أفضل؟

***

المقهى ولعبة أكل الوقت..

الطاولة الأثيرة وصوت ارتطام الزهر بالأرضية الخشبية.. يجده البعض مثيراً للأعصاب بينما هو جالب للحظ عند أخرين، كما يعتقد عبد الصمد..هناك برنامج يدور على شاشة المقهى يتحدث عن مواقع التواصل الاجتماعي التي نجحت في تحويل العالم لقرية صغيرة..

وعلق بعض مرتادي المقهى، وهو يعزف بالنرجيلة مقطوعة من الدخان القاتل.. أن مواقع التواصل تعين على صلة الرحم التي أمر بها الدين. يمكنك أن ترى وتحدث ابن عمك الذي في كندا وأنت في القاهرة.. بعد ثوان قامت خناقة عاتية بين عازف النرجيلة هذا وأخ له، جاء يطالبه بمال له عنده، وسرعان ما طار مبسم النرجيلة من فمه، وتعالى صوت سباب الدين إلى عنان السماء..

قال عبد الصمد لخالد وهما منخرطان في لعب الطاولة :

- لماذا لا يتآلف الناس وتذوب ما بينهم من خلافات ؟

دائماً ما يتحفه عبد الصمد بتلك العبارات التي يجيدها المصريين ويحشرونها حشراً أثناء معظم حواراتهم .. وفي بعض الحالات تكون مقدمة لبداية شكوى مرة من زوجته أو حماته أو.. أو.. لكن خالد كان مشغولاً مع الزهر بشدة.. إن حظه في اللعب كما يقول له عبد الصمد دائماً (حظ عوالم)، لكنه كان يعتقد أنه سعيد الحظ في اللعب لأنه تعيس في الحب..

وكان عبد الصمد مصمماً ..

- يقولون:العالم قرية صغيرة.. هراء.. هذا الحي الذي نسكنه.. من فيه يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ من الذي لا يحسد غيره؟

- أنا.

قالها خالد وهو يرمي الزهر فامتعض عبد الصمد لأنه لا يحب المزاح حينما يتفلسف.. لكن خالد أردف بسرعة:

- أعني أنا وأنت.. ألسنا أصدقاء منذ الطفولة ونحب الخير لبعضنا البعض؟

- وماذا نشكل أنا وأنت في هذا الحي الطافح بالسموم والأحقاد.

- عبد الصمد .. هل أنت جاد؟.. أنا لا أرى الحياة بهذا السوء.

- فقط لأنك لا تحمل الهم مثلي.. لا زوجة ولا أولاد..

ابتسم خالد وهو يكتم غيظه.. كان على وشك أن يصارحه أنه يملك كل مقومات الحياة السعيدة.. لديه زوجة وأولاد ومحل يدر عليه ربح وفير.. ليس مثله يحيا كالريشة في مهب الرياح الأربع، لا يدري أين يذهب به.

قال خالد:

- صدقت.. الكل هنا يحقد و يحسد.

تنحنح عبد الصمد في حرج وقد فهم ما يرمي إليه صديقه..

- هل تعشيت؟

قالها ثم نادى مباشرة على رجب صاحب عربة الكبدة دون أن ينتظر جواباً من خالد ..

- سأطلب لي ولك..

- سأتعشى في البيت.

قالها خالد وهو ينهض ببطء، وقد شعر أن ساقيه قد تحولتا إلى لوحين من الخشب من طول الجلوس.. حلف عليه عبد الصمد مئة يمين، لكنه كان قد عاد لداره بالفعل قبل أن يبلغ المئة..

***

في الأفلام تبدو الأمور غالباً أكثر شاعرية..

حينما جلس أمام المرئي يتناول شطيرة من الجبن مع كوب من الشاي، اكتشف أن الحياة التي تطل عليه من خلال صندوق اللعب هذا مثيرة فعلاً.. مثيرة للخيال والغيظ أيضاً.. هناك فيلم يتكلم عن غزو فضائي للكوكب.. وسكان العالم يلتفون تحت راية الولايات المتحدة لمقاومة هذا الغزو.. الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، الكل يعمل من أجل مصلحة هذا الكوكب.. لكن هذا لن يكون إلا تحت راية الولايات المتحدة كما هو واضح.. أمريكا هي الوحيدة القادرة على جعل العالم كله قرية صغيرة.. أليس الشعار هو شعارها؟ أليس القرن كله قرنها؟..

هكذا جلس يتابع ويفكر..

هل العالم يحتاج فعلاً إلى كارثة كي يتوحد وينسى ما بينه من خلافات ومشاحنات؟

هل؟

***

كان هذا حينما بدأت إرهاصات ما قبل الغزو..

(٢)

تعود أبناء العالم الثالث على أن مشاهدة الأطباق الطائرة لا تحدث إلا في دول العالم الأول دائماً.. وكأن ظهور طبق طائر لرجب بائع الكبدة مثلاً أمراً مبتذلاً سخيفاً يتناقض مع الذوق العام.
لكن لسبب ما بدأ سكان العالم الثالث في تلك الفترة يسجلون مشاهداتهم أيضاً لتلك الصحون الغامضة .. وكأن لسان حالهم يقول متشدقاً لسكان العالم الأول: هاهي الرؤوس قد تساوت أخيراً.. صرنا نشاهد ما تشاهدون. لكن بعض الساخرين علق قائلاً: لعلها أطباق طائرة درجة ثالثة، أو أن الحالة الاجتماعية للكائنات الفضائية قد تدهورت أخيراً.
المهم أنه لم يعد يمر يوم بدون تسجيل مشاهدة من تلك المشاهدات، ومع وجود أجهزة المحمول الحديثة، ومواقع التواصل التي

صارت هي البديل عن نشرات الأخبار تحول الأمر إلى ما يشبه اليقين..

ترك الناس الحديث عن الأسعار والغلاء وصار لا حديث لهم إلا الصحون الطائرة التي تمرح في سماء عالمنا الثالث..

- هراء.. الحكومة تريد التغطية على فشلها ببث مثل تلك الشائعات المضحكة.. هل سمعت عن الرنجة الحمراء التي تضلل كلاب الصيد؟..

قالها عبد الصمد وهو يسلم خالد المحل عند السادسة مساء..

رد الأخير ببراءة :

- الحقيقة أنا أحب الرنجة بشتى ألوانها .. لكن ألم يجدوا غير تلك الشائعات الساذجة التي لا تمت لثقافة المواطن العادي بصلة؟..

- يبدو أن الحكومة الجديدة ثقافتها أمريكية.. معظم الوزراء قضوا نصف حياتهم بالخارج.. ولا يدرون أنه لو وجد أحدنا طبقاً طائراً لظن أنه طبق فول (ديليفري).

قالها عبد الصمد ثم مضى إلى بيته في شموخ العارفين ببواطن الأمور.. ووقف خالد يتابع على شاشة المرئي تكذيب رسمي لشائعات ظهور أطباق طائرة في القاهرة.. هناك كذلك تكذيبات مماثلة في عدة عواصم عربية..

همس وهو يقلب بصره بين الأخبار :

- الحكومات تنفي فمن وراء تلك الشائعة السخيفة؟

- إنها حكومة الزواحف الخفية.

التفت خالد ليجد ذلك الزبون الذي وقف على أعتاب المحل واضعاً كفيه في جيبي سرواله، وهو يمط شفتيه بتعالي واشمئزاز.. إنه واحد أخر من أولئك العالمين ببواطن الأمور..

لقد سار عددهم ينافس أعداد الأطباق الطائرة ذاتها..

***

" لماذا يصدق الناس في العالم الثالث شائعة الأطباق الطائرة؟"

هذا السؤال هو عنوان حلقة جديدة من حلقات أحد البرامج الفضائية التي لم يعد يهم المواطن حفظ أسمائها.. لأنها كلها ذات مضمون واحد.. الفارق الوحيد أن هذا برنامج الإعلامي فلان وهذا برنامج الإعلامي علان.. وكفى..

هناك طبيب نفسي كبير سيتولى تحليل نفسية المواطن الذي صار يتحدث لسبب ما عن ظهور أطباق طائرة بدلاً من الحديث عن الجن والعفاريت..

ظل يتحدث نصف ساعة عن الأنا العليا التي اضمحلت بسبب زيادة الاتساق البرعوثي وتدهور الدكتافونيا.. بعدها انهالت عليه مكالمات من أولئك الذين شاهدوا تلك الأطباق، وسجلوا مشاهداتهم تلك ومستعدين لإرسالها إليه لعرضها في البرنامج.. في نهاية الحلقة صار وجه الطبيب النفسي أحمراً كالطماطم.. وبدا وكأنه بحاجة ماسة لزيارة طبيب نفسي بعد الحلقة.

أصحاب القنوات التي تتبنى الشائعة يأتون بضيوف ضعاف الحجة ليؤكدون الشائعة.. والعكس صحيح.

وانتهت الحلقة وقد حققت أعلى نسبة مشاهدة كما هو متوقع..

قال والد نجلاء وهو يغير القناة:

- هؤلاء لا يهمهم إلا نسبة المشاهدة وفقط.. وليذهب الشعب كله إلى الجحيم.

أما خالد فكان ما يشغل همه بعد شرب كوب العصير الذي قدم له، هو أن يجد جملة مترابطة يقولها للسيد الوالد..

لماذا قرر أن يأخذ القرار الآن؟

هل هي الحاجة لعمل شيء ما كما يقال؟.. هل هو جنون الشباب الذي يجعلهم يقدمون على قرارات غير مدروسة؟..

أم أن حديث الناس عن قرب الساعة دعته لأن تكون الفسيلة التي سيغرسها قبل النفخ في البوق هو أن يتزوج نجلاء وبسرعة.

ها هو أخيراً قد قرر أن يفتح فمه ليقولها.. بعد كل سنوات التردد والمعاناة سيقولها.. لكن قبل أن ينزلق الهواء فوق أحباله الصوتية صمت أذنيه صرخات ملتاعة قادمة من جهة المطبخ.. لم يستطع تمييز صوت نجلاء في البداية فهو لم يسمعها إلا وهي تهمس ..

لكن هل قررت أن تموت أخيراً لتريحه من عناء الطلب؟

بدون وعي وثب الأب وخلفه خالد ناحية المطبخ ليجدا نجلاء مصفرة الوجه تلوح بمغرفة في يدها وهي تصيح :

- كان هناك كائن أخضر اللون في المطبخ.. لقد وثب من النافذة وانزلق عبر مواسير الصرف.. أقسم أنني رأيته..

طبعاً تحولت جلسة الخطوبة إلى مطاردة حامية من سكان الحي كبيرهم وصغيرهم لذلك الكائن المفترض الذي شاهدته نجلاء في مطبخها.. وبعد نصف ساعة عاد خالد منهكاً لداره بعد أن أثبت لنفسه أنه نحس.. لم ينجح في طلب يد نجلاء ولا حتى في القبض على ذلك الكائن الفضائي..

لكن الاستنتاج المهم الذي خرج به يومها أن ما حدث يعد تطوراً بالغاً.. هذا أول تسجيل لمشاهدة قريبة لكائن فضائي وليس لمجرد طبق طائر قد يكون أي شيء أخر متوهم.. صحيح أنه كائن فضائي تقليدي جداً، لكن من قال أن أسطورة الكائنات الخضر التي قتلتها السينما ليس لها أصل صحيح..

كانت تلك المشاهدة أول الغيث..

بعدها سجلت عدة مشاهدات أخرى في الحي وتسببت في ذعر لا محدود جعل الناس يشكون في أي شيء لونه أخضر .. والبعض صار يداهنهم باعتبار أنهم السادة الجدد القادمون لحكم الكوكب ، حتى أن خالد حينما جرب فتح الراديو ليسمع أي أخبار ، فوجئ بأغنية أه يا اخضراني اللون.. حبيبي الاخضراني تتردد بصوت ملتاع ، فسارع بغلق الراديو وجلس يرتجف وهو يردد في ذهول:

- حتى أنت يا شادية!

***

الآن تصمت كل الأصوات انتظاراً للكلمة الفاصلة للأمم المتحدة..

لقد خرج الأمر عن النطاق المحلي إلى ساحة النقاش الدولية..

- المثل يقول من ليس له كبير يشتري له واحداً..

قالها عبد الصمد وهو يتابع مع خالد الجلسة الاستثنائية لمجلس الأمن على شاشة المقهى. اليوم سيتم البت في شائعة الصحون الطائرة التي تؤرق العالم الثالث.. اليوم سيجاب عن السؤال الذي أرق ملايين..

قال خالد :

- كأننا في جزء من ذلك الفيلم الأجنبي.. ماذا كان اسمه؟

هز عبد الصمد رأسه بتؤدة قائلاً :

- هذه هي فائدة السينما.. التوعية بما يمكن أن يحدث لنا في المستقبل.

رمقه خالد بنظرة جانبيه قبل أن يعود لمتابعة اجتماع مجلس الأمن..

وكان ما خرج به الاجتماع نهاية لمرحلة الحديث عن الشائعات، وبداية للكلام عن كارثة حقيقية تواجه سكان الأرض..

كارثة حاولت حكومات العالم الثالث التعتيم عليها، ربما لأنها حكومات رجعية لا تؤمن بحقيقة وجود كائنات أخرى عاقلة معنا في هذا الكون الفسيح.. إنها كارثة غزو فضائي محتمل وبشدة، في

الأيام القريبة.. كارثة تحتاج لتكاتف سكان العالم كلهم لمواجهته..
كارثة لن تفرق بين دول متقدمة وأخرى متخلفة .. بين دول غنية وأخرى تمزقها المجاعات ..
وكان هذا هو الحل السحري لكل الخلافات والمشاحنات على المستوى الدولي والفردي ..
لقد تعانق سلاح الجو الأمريكي مع سلاح الجو الروسي في سماء المحيط
الهادي..
البحرية البريطانية تعانقت مع البحرية الفرنسية في مياه المانش وتعانق اليابانيون مع الصينيين ونام الأهلاوية جوار الزملكاوية ..
..
بل شوهد الفلسطيني بحزامه الناسف يقف جنباً إلى جنب مع الجرافة الإسرائيلية في شوارع القدس..
وجمع بابا الفاتيكان رموز الأديان وصلوا صلاة واحدة أملاً في نشوب طاقة إيجابية تحرر الأرض من نير الغزو الفضائي!.
وتاب الناس واسترضوا بعضهم البعض وامتلأت المساجد والكنائس
والمعابد ..
صار العالم كله يهتف في نفس واحد..
(كلنا إيد واحدة)

وخرج الرئيس الأمريكي ليدشن الدولة العالمية الكبرى التي انصهرتفيها كل الدول والقارات في مواجهة الغزو الفضائي..
ويومها لم ينس أن يذكر العالم الذي يستمعإليه عبر شاشات البث المنتشرة في كل ربوع العالم ..أن أمريكا هي أول من حذرالعالم من إمكانية حدوث غزو فضائي للأرض .. وهي أول من دعى لقيام نظام عالمي
جديد..
نظام عالمي واحد تحكمه الأمم المتحدة..
وأن الحكمة الأمريكية والفطنة الأمريكية والتواضع الأمريكي كل ذلك يدعوه الأن لنسيان ما كان من سخرية واستهجان..
بعد أن أثبتت السينما الأمريكية للعالم أنها لم تكن يوماً تقدم نوع من التسلية البريئة المحبوكة.. بل كانت تنظر بعينها الأحادية إلى المستقبل القريب وتحاول أن تضيئ للعالم شمعة على الطريق ..
وانتهى حفل تدشين الدولة العالمية بتكريم لمخرج فيلم يوم الاستقلال!
ولم ينس الرئيس الأمريكي أن يصنع بأصبعيه قرنان (السبابة والخنصر) في مواجهة العالم وهو يغمز بعينه قائلاً:
- في الله نثق.
وجاء يوم حجبت فيه أشعة الشمس وراء أضخم طبق طائر رآه كل سكان الأرض في آن واحد ..

ثم بدأت أطباق طائرة صغيرة تغادر الطبق الأم الجاثم على أنفاس العالم، وتنقض على عواصم وبلدان القارات السبع..

***

(٣)

فتح عبد الصمد محل خدمات المحمول وبدأ يضيء الأنوار، وخلفه خالد يستجديه :

- أنت تصر على المغامرة..

- هل تعتقد أن الناس ستكف عن استعمال المحمول وسيعودون للمراسلة بالحمام الزاجل..

لو أردت رأيي هذا أفضل وقت للبيع، يمكننا أن نجني فيه ثروة طائلة.. ستزيد الأسعار مائة بالمائة..

- تريد أن تستغل حالة الحرب لتكوين ثروة من دماء البشر..

- خالد لا تضيع وقتي في شعارات فارغة .. إذا كنت تريد أن تقف معي فمرحباً.. أنها فرصة لا تتكرر.. تذكر مشروع زواجك الجملي.

هنا دوى صوت صفارة غريبة قطعت عليهما تحاورهما..

نظرا لبعضهما البعض ثم هتفا بصوت واحد :

- غارة!

وجرى عبد الصمد بسرعة ليغلق المحل.. بينما جرى خالد كالمجنون نحو منزل نجلاء.

صوت الأطباق الطائرة وهي تقترب من الحي جعله يزداد رعباً .. حتماً سيفقد نجلاء..

كل الأفلام المأساوية تنتهي هكذا.. ستموت هي، ومن ثم يظل هو يقاتل الغزاة حتى يستشهد في النهاية، ويصير أيقونة المقاومة..

رباه .. كان لابد أن يتزوجها وبسرعة قبل أن.. أن..

أشعة الليزر تدك الحي الذي ولد ونشأ وترعرع فيه.. ذكرياته الجميلة تنسحق تحت وطأة النيران.. الطفولة .. الصبا .. الشباب..

أخيراً فرغت بطاريته عند بقايا منزل نجلاء.. ووقف مذهولاً يترنح..

- نجلاااااااااااء.

دوت صفارة نهاية الغارة فجلس على الأرض ووضع رأسه بين كفيه..

أغمض عينيه وظل يردد:

- لماذا يا نجلاء؟.. لماذا؟

هنا سمع صوت بكاء وعويل سكان الحي وهم يغادرون المخابئ التي أعدتها الحكومة العالمية قبل بدء الغزو.. حينما فتح عينيه أدرك أن الكثير من سكان الحي سيبيتون الليلة في العراء.

لكن فجأة توقفت عيناه عند واحدة بعينها من بين الجموع.. هذه الفتاة منكوشة الشعر التي تبكي مع والدها بين الجموع.. أليست هي نجلاء ؟.. فرك عينيه حتى يتأكد، ثم لم يلبث أن انتفض قائماً وهرول إليهما وهو يهتف :

- نجلاء.. لقد ظننت أن.. أن..

ثم وثب محتضناً والد نجلاء بحرارة.. قال له الأخير وهو يجفف دموعه بكبرياء :

- يبدو أنك ستستضيفنا عندك لأجل غير مسمى.

هنا تذكر.. ضرب جبهته بكفه صائحاً :

- عندي!

مرة أخرى يعدو كالمجنون نحو منزله هو هذه المرة.. الغريب أنه كان يتمنى أن يجده سليماً من أجل نجلاء ووالدها.. سيقبل أقدام الغزاة فقط لو تركوا له منزله كما هو..

لكن من قال أن الغزاة الخضر جاءوا من أجل تحقيق أمنياته..

ظل يبحث عن العقار غير مصدقاً أنه انهار.. لابد أنه تاه عن ناظريه وسط الأطلال والركام..

ثم توقف حينما ارتطم بعم شوقي وبناته الثلاث.. كانوا يندبن كالثكالى، وعم شوقي على وشك الإصابة بنوبة قلبية حادة.. هنا أدرك أنه كان يلف ويدور حول حطام بيته منذ البداية غير مصدقاً أنه كان هنا، ثم لم يعد كذلك..

في تلك اللحظات القاسية لم يجد بجواره سوى جاره وصاحبه عبد الصمد ..

دفن رأسه في صدره وقال له من بين دموعه:

- عبد الصمد لم يعد لي غيرك.. هل يمكنك استضافتي إلى أن.. أن..؟..

صاح عبد الصمد كمن تلقى إهانة :

- خالد ماذا تقول .. داري هي دارك.

مسح الأخير دموعه في كمه وقال :

- أنا ونجلاء ووالدها؟

- .....

***

طابور طويل من المتطوعين سار فيه خالد وعبد الصمد.. ينتهي عند موظف أممي يدون أسمائهم في كشوف..

بعد قليل سيتحول خالد من ذلك الشاب الطموح الذي يأمل في الزواج والراتب المجزي إلى أحد أعضاء المقاومة الأرضية..

الحقيقة أن مأساة الغزو كانت تنقصه وبشدة، كي تزداد الحواجز بينه وبين نجلاء، بحاجز من الكائنات الفضائية الخضراء..

عبد الصمد لم يجد بد من الانضمام للمقاومة بعد أن صار بلا عمل.. الدمار الذي أصاب الحي جعل الناس يعودون للوراء عدة

قرون.. صارت الهواتف المحمولة بلا شبكة.. بلا فائدة.. لم يعد هناك وسائل اتصال سوى بين أفراد المقاومة بعضهم ببعض.. المقاومة هنا وظيفتها حماية ظهر الجيش الأممي الرسمي الذي يخوض معارك ضارية في البر والبحر والجو.. وطبعاً لن يكون هذا بلا مقابل.. والمقابل هنا سيكون بالدولارات..

قال خالد لعبد الصمد وهما يوقعان في الكشوف:

- سنقاتل كائنات خضراء ونقبض بالدولارات الخضراء.

ابتلع عبد الصمد ريقه وقال :

- وعسى أن تكرهوا شيئاً.. ربك يقطع من هنا ويصل من هنا.

- فعلاً.

قالها خالد وهو يلمح نجلاء ووالدها يتقدمون من الصف .. إنه لم يرهم منذ يوم الغارة..

فقط عرف أنهما يبيتان في شقة مشتركة مع ثلاث أسر..

فأصحاب البيوت التي انهارت عقاراتهم تم توزيعهم على البيوت المتبقية و.. لكن ماذا تفعل نجلاء هنا؟..

استوعب الموقف متأخراً، فترك عبد الصمد وانطلق إليهم وهو يغلي..

- نجلاء ماذا تفعلين هنا؟

نظرت إليه كي يصمت، فتنبه لوجود والدها بجوارها فانحشرت الكلمات في حلقه.. لكن والد نجلاء كان متفهماً.. قال له:

- أنا رأيي من رأيك يا خالد .. لكنها مصممة.

قالت نجلاء بشراسة مفاجئة:

- أنا لي ثأر مع هؤلاء الغزاة .. أريد رأس ذلك الكائن الأخضر الذي اقتحم علي المطبخ.

قال خالد بدهشة :

- أنت جادة في ذلك؟

قال والدها وهو يهز رأسه:

- رأسها ناشف.

نظرله بمعنى : هل هذا هو ما قدرت عليه؟.. شعر كأنه يستفز بمكر فكور قبضتيه قائلاً لنجلاء:

- نجلاء.. أنا آتيك برأس ذلك الفضائي الوقح.

ثم استجمع شجاعته مردفاً:

- وسيكون هذا هو مهرك..

لم يفته اختلاج شفتيها بابتسامة سرعان ما وأدتها سريعاً حمرة الخجل.. لماذا يبدو له الأمر كمؤامرة لتوريطه ؟.. عموماً ستكون هذه أجمل ورطة تورط بها في حياته..

مد والد نجلاء يده إليه وقال باسماً:

- نجلاء لك وليست لأحد غيرك..

تناول خالد يده بمجمع كفيه كأنه سيقبلها..

- والله العظيم..

هنا فوجئ بعبد الصمد ومعه المتطوعين من الصف قد أحاطوا بهم مباركين له ولنجلاء، على الخطوبة التي تمت أخيراً في أغرب وقت وأعجب مكان.

وفي طريق العودة حكى خالد لعبد الصمد ما كان فأخذ يضحك حتى كاد يقع على قفاه ..

ثم تمالك نفسه حتى لا يفتك به خالد في الطريق العام .. قال له وهو يمسح دموعه :

- لا تؤاخذني ..لكن لا أدري أشعر أن مهر نجلاء هذا لن يكون بالسهولة التي تعتقد.

قال خالد :

- لكنها تستحقه..

- هل أنت متأكد من أنها طلبت رأس ذلك الفضائي الذي اقتحم عليها مطبخها؟.. ربما كان الأمر رمزياً..

- قلت لك أنا الذي شرطت هذا على نفسي .. لقد سبب لها ذلك الفضائي أزمة نفسية بالغة..

- لكنهم متشابهون جداً.. كيف ستعرف أنه هو؟

- أي رأس فضائي أخضر ستحل المشكلة يا صاح.. الأمر كما قلت أنت لا يخلوا من رمزية !!

- تباً لك ولرمزية معاً !

***

يتذكر خالد التدريبات التي حصل عليها مجاناً كمنحة من الأمم المتحدة..

لأول مرة يشعر أن تلك المنظمة أم رؤوم تحرص على جميع أبنائها ولا تفرق بينهم لا باللون ولا بالجنس .. لقد أظهرت تلك الأزمة معدنها الحقيقي، وأثبتت أن ما كان يشيعه البعض حولها مجرد تكهنات من عقلية منهزمة منقوعة في نظرية المؤامرة..

بعد تلقي التدريبات شعر خالد أنه كان مقاتلاً بطبعه وأن هذه التدريبات لم تزد على أن أزالت الغبار الذي علاه.. مقاتل ضل طريقه إلى الوظيفة الحكومية التي أقعدته عن الجهاد.. ربما كان والده وجده مثله كذلك.. من يدري ربما كان أحد أجداده الأوائل قائداً عسكرياً، ثم ذاب نسله في سلك الوظائف الحكومية حتى اليوم.

وهكذا صار ينتظر اليوم الذي سيواجه فيه حثالة الفضائيين الخضر..

وينتظر كذلك أن يحالفه الحظ ويعود بمهر نجلاء .

***

(٤)

صوت الغارة من جديد..

هذه المرة كان كل يعرف دوره وموضعه..

النساء والأطفال والشيوخ في الملاجئ.. والشباب يحملون أسلحتهم المضادة للأطباق الطائرة وينتشرون في أرجاء الحي..

خالد وعبد الصمد تمكنا من التصويب على أول طبق طائر ظهر في الأفق، ونجحا في إسقاطه.. هوى كالصخرة العملاقة أمام أحد المقاهي التي كان يعج بها الحي.. ربما كان ذلك هو المقهى الأخير المتبقي ..

تعالى التكبير وانهالت الطلقات على الطبق المحطم .. هناك كائنات خضراء ترتدي خوذ شفافة تزحف خارج الطبق وهي تطلق الليزر باتجاه المقاومة.. كفاءة الليزر لا تقارن بطلقات البارود العادية..

ولقد سقط العديد من الشباب بالفعل، قبل أن يصوب خالد إحدى القذائف المضادة المحمولة على الكتف باتجاه الطبق.. وسرعان ما تناثرت أشلائه في كل حدب وصوب.. وحينما اقتربوا من موضع الطبق بحثاً عن أثر لركابه الخضر بين الأشلاء المحترقة..

لم يجدو لهم أثر..

صاح خالد :

- لنقلب عليهم الحي.. إنهم لم يغادروه بعد..

بالفعل تم قلب الحي رأساً على عقب لكن النتيجة كانت بالسلب..

قال والد نجلاء وهو يلهث :

- ربما سحقهم الانفجار تماماً.

قال خالد في ضيق:

- لابد أن يتركوا خلفهم أثراً ..

صاح عبد الصمد :

- فليذهبوا في داهية.. لماذا نحرص على تتبع آثارهم القذرة.

ثم تذكر.. أنه مهر نجلاء العجيب الذي يسعى له صديقه فابتلع لسانه وأشاح بوجهه محنقاً..

قال والد نجلاء لخالد مطيباً خاطره:

- لن تكون هذه آخر المواجهات مع الخضر يا بني.. فلا تبتئس..

***

يوم بعد يوم يتأكد لخالد أن مهر نجلاء ليس سوى فخ جديد من الفخاخ التي دائماً ما تحاصره كلما فكر في مشروع زواجه منها.. لقد دمر وحده عدداً لا بأس به من الأطباق الطائرة ..واشتبك مع العشرات من الفضائيين الخضر.. لكنه اكتشف أنهم لا يتركون خلفهم جثث أبداً.. ربما غير قابلين للموت كذلك.. لديهم سرعة الفئران وشراسة الضباع وجبنها كذلك، إذ يلوذون بالفرار عندما يأخذ منهم رجال المقاومة المبادرة..

لقد علا نجم خالد، حتى لقب بصائد الأطباق الطائرة، و جاء وفد مخصوص من الأمم المتحدة لتكريمه..

صار قائداً لمجموعته الصغيرة التي فيها عبد الصمد ورجب بائع الكبدة ووالد نجلاء وغيرهم من أبناء الحي المنكوب..

لكنه مع ذلك لم يتمكن من الانتصار في معركته الشخصية مع فتاته نجلاء.. ربما فكر في أن يراسل مندوب الأمم المتحدة لعله يجد له حلاً.. حتى والد نجلاء لم يعد يتكلم معه في الموضوع مجدداً، وكأن هناك اتفاق ضمني على أن يتم غلق ملف الزواج حتى الجلاء التام.. وإلى أن يرحل أخر فضائي عن أرضنا الغالية..

.....

حتى جاء ذلك اليوم.. حينما تعرض الحي لغارة قوية حولته إلى خراب يباب .. تصور خالد أنه هو المقصود بتلك الغارة كي يحرموه من نول مراده .. استشاط غضباً ونهض ليرتدي بزة ناقل الجزئيات التي تجعله يشبه رواد الفضاء .. لقد قرر أن يقاتلهم حت أخر عرق ينبض وإما أن يظفر بواحد منهم أو أن يموت دون ذلك ..

انتهت الغارة وفوجئ خالد بالطبق الطائر إياه يحط على الأرض بعد أن دمر منزل عبد الصمد وشطر الأخير إلى نصفين .. كانت فرصة لا تتكرر.. لذا فقدألصق خالد القنبلة بالصحن الطائر وحمل صديقه وانتقل به إلى المخبأ ليتم إسعافه، ثم عاد ثانية ليحصل على جثة أحد الفضائيين من بين حطام الطبق..

وحينما وقف أمام الحطام الذي تتصاعد منه الأدخنة لمح الأشلاء الخضراء التي ترتجف رجفتها الأخيرة..همس بأنفاس مبهورة :

- أخيراً..

ها هو ذا الرأس المقزز يبرز لك من بين ألسنة اللهب..

الرأس الضخم وجسم دقيق تشتعل فيه النيران .. تماماً كما تخيلته قصص الخيال العلمي وأفلام هوليود.. لعلهم كانوا يضربون الودع حتى يكون خيالهم بهذه الدقة..

المهم الآن هو أن يحافظ خالد على الرأس سليماً من أجل نجلاء..

وحينما انحنى ليلتقط الرأس شعر بتلك الرجفة تسري في أوصاله.. كم كان ملمسه مثيراً..

لكن ما سر تلك الأسلاك والدوائر الإلكترونية التي تبرز من أسفل الرأس؟..

قلب الرأس ليتأكد.. بالفعل هذا المخلوق لم يكن سوى روبوت ..

هل كانوا يواجهون غزواً من قبل روبوتات؟

انتزع شريحة وأخذ يتفحصها عن قرب.. هنا سقطت الرأس من يده وتراجع مذهولاً..

كانت هناك كلمات مكتوبة بأحرف إنجليزية واضحة على الشريحة..

هذا الروبوت صناعة أرضية .. بالتحديد صنع في بلد يتحدث أهلها الإنجليزية..

***

تذكر يا خالد أن أمريكا هي أول من حذر العالم من إمكانية حدوث

غزو فضائي للأرض..
وهي أول من دعى لقيام نظام عالمي جديد..
كانت تنظر بعين أحادية إلى المستقبل القريب وتحاول أن تضيئ للعالم شمعة على الطريق..
كان هذا هو الحل السحري لكل الخلافات والمشاحنات على المستوى الدولي والفردي..
حمل خالد رأس الفضائي بكلتا يديه وأخذ يدور بها حول حطام الطبق الطائر.. كأنما يؤدي رقصة ما أو دور مسرحي بلا جمهور. و ظل يردد :
- أنا دون كيشوت.. نجلاء دون كيشوت.. والدها دون كيشوت.. عبد الصمد دون كيشوت..كلنا دون كيشووووووووووووت.
ثم توقف فجأة.. ورفع عينين حمراوين كالدم تجاه القمر..
الإيذاء..لابد أن يؤذي أحدهم .. لابد أن يدفع أحدهم الثمن .. وليكونن الثمن غالياً..
***
المائدة المستديرة التي يتداعى عليها الأكلة دائماً..
ومن خلفهم شعار الأمم المتحدة.. إنهم يناقشون أخر مستجدات الوضع مع الغزاة الفضائيين.. إنهم منهمكون وبشدة.. جمعية بر وتقوى على مستوى عالي..
- نأسف على المقاطعة يا سادة..

اضطربت النخبة الأممية وقفز بعضهم من على مقعده .. والبعض نزل تحت المائدة المستديرة وأطل برأسه من فوقها في حذر وترقب

- كيف دخلتم هنا ..؟

- إنهم يرتدون بزة ناقل الجزيئات...

- أين الأمن ..؟

كان خالد ورفاقه يحاصرون أركان القاعة .. كانوا جميعاً من قيادات المقاومة المميزين لذا كان الجميع يرتدي زي ناقل الجزئيات..

قال خالد وهو يشير إلى الزي الذي يرتديه :

- لا داعي للانزعاج يا سادة ..هذه البزة مرخصة حصلنا عليها مع نوط للواجب والشرف من أمنا المتحدة..

- كيف سمحتم لأنفسكم باستعمال تلك التقنية في اختراق مقر الأمم المتحدة ..؟

- لدينا أخبار سارة لا يسعنا معها مراعاة البروتوكول..

وجاب ببصره في وجوههم وهو يستطرد في حزم:

- فالأرض على وشك التحرر من نير الغزاة ..

أطل الحذر من البعض .. وعدل البعض من وضع ربطةعنقه وازدرد البعض لعابه بصوت مسموع ..والبعض انشغل بالنظر لقدميه وقداكتشف أن لديه حذاء جميل..

لكن خالد تجاهل كل ذلك وأردف:

- لنشرب سوياً نخب يوم الاستقلال.

وفرد كفه اليمنى ليتدلى منها جسم كروى أسود مزود بصمام أمان معلق بإبهامه .. وكذلك فعل كل رفاقه .. كانت في يد كل منهم قنبلة يدوية قاموا جميعاً بنزع صمامها في آن واحد،وخالد يستطرد:

- هذه القنبلة هي فخر الصناعة المحلية..

وقبل أن يستوعب أحدهم الموقف ألقى خالد ورفاقه قنابلهم اليدوية ناحية المائدة المستديرة...

بعدها تلاشت جزيئاتهم من القاعة..

وحينما سبحت جزيئات خالد في الفضاء الرحب، كانت أمنيته أن يمكثوا في جمع أشلائهم حتى تقوم الساعة..

***

البعض قد يتساءل أين ذهب خالد ؟

لا أحد سوى خالد نفسه يمكنه الجواب على ذلك السؤال..

يمكنك أن تتخيله يسبح في نهر السين أو يتسلق جبال الهيمالايا..

أو يلهوا مع الدببة وسط ثلوج القطب الشمالي..

يمكنك أن تتخيله جالسا يصطاد السمك من فوق كورنيش النيل.. أو يمكنك أن تطمح عالياً فتتخيله قد تزوج أخيراً من نجلاء.. يمكنك أن تتخيله كما تشاء ..كل ذلك لا يهم..

المهم الآن أن الشمس قد عادت تشرق من جديد، باعثة في الأرض الدفء والأمل.. بعد أن زال الغزاة.

لكنه وطن

إهداء للسيد سليمان..

***

أشياء عديدة دفعتني دفعاً ؛لاتخاذ ذلك القرار الصعب..

كلنا يعلم طبيعة عملنا الأمني وقواعده الصارمة ؛لابد أن تظهر خلاف ما تبطن..

لابد أن تغلف مشاعرك بجبل من الجليد..

لكن حتى جبل الجليد يمكن أن يذوب إذا ثار البركان الذي بداخله ..

أنا أمر بتلك اللحظة حالياً..

جبل الجليد الراسخ في سبيله للتخلى عن جموده وسرعان ما سيقذف بالحمم في كل صوب..

ساعتها لا أحد يضمن النتائج..
الرؤساء يعلمون جيداً تاريخي في الجهاز والتشدق كلمة لا وجود لها في عملنا القائم على التفاني والكتمان ..لذا لاسبيل لإساءة الظن بي وتفسير طلبي على غير المراد..
لقد سقطت القشة التي قصمت ظهري يوم عدت مؤخراً من الخارج
بعد عملية الليل البهيم ..عدت للديار التي تفانيت في حفظها وحياطة
أمنها على مدار ربع قرن من الزمان ..عدت كي أهنأ باستراحة محارب..
يلتقط الأنفاس من ثم يعود ليمطتي جواده وينطلق مرة أخرى إلى الميدان..
لاداعي ههنا لذكر مواقف أسرية وعاطفية لم نتعود على البوح بها في عملنا..
المهم أنني بعد جلسة أسرية حميمة قررت أن أجوب شوارع العاصمة..
جولة حميمية أعانق فيها الشوارع والميادين ..أتأمل أبناء وطني بتركيز كأنني أبحث في ملامحهم عن الأشياء التي نضحي في سبيلها بأرواحنا ذاتها..
وينتهي بي المطاف حيث مرسى النهر الخالد

لحظات من التأثر تدغدغ مشاعرك وتكاد تجرفك مع أمواج النهر إلى حيث المصب لكنك تملك كبح جماح مشاعرك وراء جدار من الصلب ترسمه ملامحك باحتراف..

لا أحد يتخيل ولا أحد يمكنه أن يستشف شيئاً من وراء قناعك البارد..

جلست بأحد الكافيتريات التي تطل على الكورنيش وطلبت مشروباً شرقياً دافئاً..

الأن أقترب أكثر من الناس البسطاء ..أراهم وهم يحتسون المشروبات الغازية !..يتهامسون ..يضحكون ..أشعر بالفخر والانتشاء وأجد

أن ابتسامة طفل أمن في حضن أمه تستحق ربع قرن من التضحيات..

***

أسرة لطيفة كانت تجلس بجانبي مكونة من زوج وزوجة وطفل لم يتجاوز الثلاث سنوات .. أسرة لطيفة أكلت كميات هائلة من الطعام

و شربت كميات مريعة من المشروبات الغازية القاتلة ..لابد أن الحساب سيكون (على النوته..(

لكنها كانت أسرة لطيفة على كل حال..

بعد قليل حدث ما توقعته وانتظرته.. قام الزوج متثاقلاً واتجه للنادل
وسأله عن الحمام ..وبعد أن غاب الزوج قامت الزوجة وحملت طفلها واتجهت
إلى حيث ذهب زوجها وتركت خلفها حقيبة يدها الجلدية..
أسرة لطيفة تدفع الأن ثمن المأكولات والمشروبات غالياً..
في الحمام...!
لكن يبدو أنهما قررا ألا يدفعا الثمن مرتين..
بعد نصف ساعة جاء النادل محنقاُ وتناول حقيبة يد الزوجة وقلبها . كانت خاوية..!
الخديعة ضلع أساسي في عملنا الأمني لكننا نقوم بخداع الأعداء لا خداع بعضنا البعض..
أشفقت على النادل أحمر الأذنين فناديته ..التفت إلى كمن يستفيق من حلم مفزع..
أخرجت حافظتي وأنا أسأله في هدوء:
- أريد أن أدفع حساب الزوجين..
صاح في لهفة:
- هل تعرفهما ؟..
- أنا لا أعرفهم ..فقط أعرف أنهما لن يعودا ليدفعا لك الحساب..
بعد إلحاح شديد قبل أن يأخذ مني الحساب .. كان ممتناً وهو يردد

الكثير
من عبارات الشكر ..والكثير من اللعن على الزوجين معدومي الضمير لكنني كنت مهموماً بأمر أخر فصرفته برفق وعدت لتأملاتي..
ربع قرن من الكفاح في سبيل أسرة تتهرب من دفع حساب المشروبات..!
بعد قليل دخل شاب وفتاة وجلسا في نفس الطاولة التي كان يجلس عليها زوجي النصابين..
الشاب كان قد حول شعره إلى شجرة كريسماس هائلة وكان فخوراً بذلك أما الفتاة
فكانت تلبس عقداً ثميناً لذا قررت من باب تقليل التكاليف الاكتفاء بلبس العقد على ما يبدو..
كنت أتوقع الأسوأ.. والأسوأ جاء سريعاً مريعاً..
شجرة الكريسماس لم تفلح في إخفاء العبث الفج والانحلال المزري..
قد أتفهم ذلك في بلاد الأعداء وأنا مشمئز ..لكن هنا ..في وطني..!
بعد دقيقتين كنت أغادر الكافيتريا ووجهي البارد محتقن من أثر المجهود الخرافي الذي أبذله في سبيل كتمان مشاعري الحانقة..
غادرت فقط لأصطدم بمظاهرة لشباب حانق يصر على أن الإصلاح يبدأ

بحرق السيارات والمنشئات العامة والتحلية برجال الشرطة..
أين هؤلاء وأين نحن..؟
هل يعرف هؤلاء ما يحيق بهذا الوطن من المخاطر ..هل لو علموا لظلوا على ما هم عليه .. هل ذهبت أعمارنا سدى ؟..
في تلك اللحظة الفارقة ..اثناء محاولتي للخروج بسيارتي من وسط الزحام والهتافات قبل أن تتحول إلى كومة فحم ..اتخذت القرار الحاسم
الذي من أجله قدمت تلك المقدمة .. أنا لن استطيع أن أقف مرة أخرى
في وجه الخطر بظهر مكشوف ..كفاني ربع قرن من الكفاح المتواصل..
لذا أرجوا من السادة الرؤساء تفهم طلبي والتكرم بقبول.....
استقالتي..
انتهيت من إلقاء خطبتي العصماء ووقفت هنيهة أتأمل وجهي الجامد في المرآة..
لقد وقفت هذه الوقفة عشرات المرات على مدار ربع قرن وفي كل مرة
لا يتجاوز قرار استقالتي حديثي لنفسي أمام المرآة..
أنا أعرف نفسي جيداً ..وأعرف أنني لم أضيع عمري في سبيل أسرة

تتهرب من دفع حساب الكافيتريا ولا من أجل شباب ماجن ولا من أجل متظاهرين يخربون بيوتهم بأيديهم..

كل هذه الصور المحزنة لم تفت في عضدي يوماً ولم تثنيني عن أداء مهامي..

***

"بلاد ألفناها على كل حالة..

وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن..

ونستعذب الأرض التي لا هواء بها ولا ماؤها عذب..

ولكنها وطن"..

***

عمرو مصطفى

القاهرة ٢٠٢٤